مجلة شهرية

Issue No: 131 عدد:

July 2018 شهر تمّوز

نـــــور يسوع المسيح المســـيح

ΦΩΣ الغالب XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org


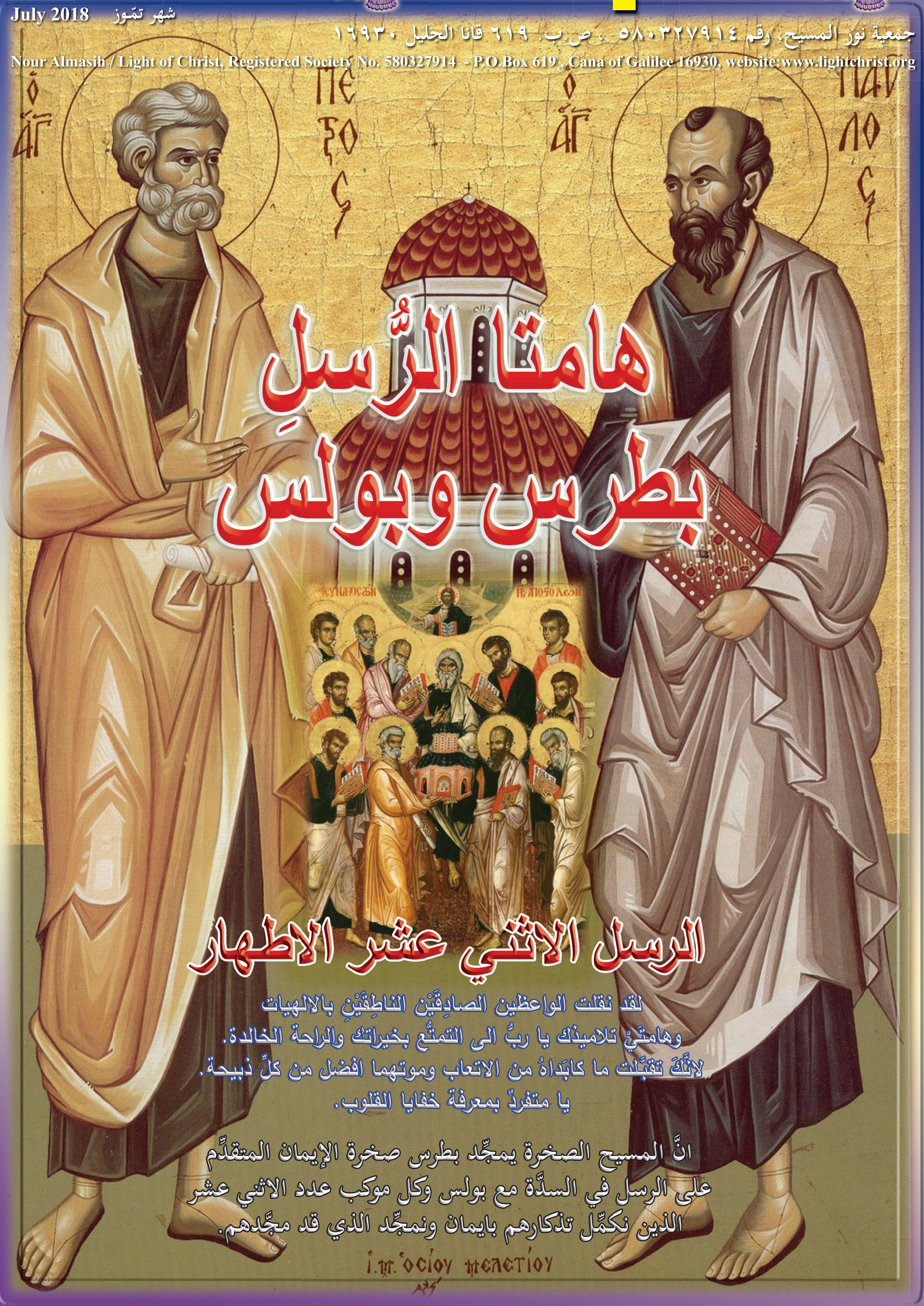

# هامتا الرُّسلِ بطرس وبولس

## الرسل الاثني عشر الاطهار

لقد نقلت الواعظين الصادِقَيْن الناطِقَيْنِ بالالهيات
وهامتَيْ تلاميذك يا ربُّ الى التمتُّع بخيراتك والراحة الخالدة.
لانَّكَ تقبَّلت ما كابَداهُ من الاتعاب وموتهما افضل من كلِّ ذبيحة.
يا متفردٌ بمعرفة خفايا القلوب.

انَّ المسيح الصخرة يمجِّد بطرس صخرة الإيمان المتقدِّم
على الرسل في السدَّة مع بولس وكل موكب عدد الاثني عشر
الذين نكمِّل تذكارهم بايمان ونمجِّد الذي قد مجَّدهم.

## محتويات العدد


| | |
|---|---|
| 2 | ذبيحة المحرقة |
| 3 | كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث |
| 4 | لا تهتموا للغد |
| 5 | نازفة الدم – أوريجانس |
| 6 | التواضع – اسحق السوري |
| 7 | ----------- |
| 8 | ----------- |
| 10 | النُسك في الحياة الرهبانية |
| 11 | ما هي اللذات، الشيخ يوسيف |
| 12 | بولس صاحب كمال البركات |
| 15 | إيَّاك + الجهاد الأقوى |
| 16 | الأرثوذكسية: نظرية أم علاج |
| 17 | الصبغة |
| 18 | مجيء المسيح الدجال |
| 19 | القابلة في الكتاب المقدس |
| 20 | القديس نكتاريوس |
| 21 | جزنا بالنار والماء |
| 21 | ---------- |
| 22 | اليشب |
| 22 | ثلاثة أكيال دقيق |
| 23 | الأرثوذكسية قانون إيمان |
| 24 | العظات الثماني عشرة عن المعمودية |



**توزّعُ هذه المجلة مجانًا**

**جمعية نور المسيح**

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

«هذِهِ شَرِيعَةُ الْمُحْرَقَةِ: هِيَ الْمُحْرَقَةُ تَكُونُ عَلَى الْمَوْقِدَةِ فَوْقَ الْمَذْبَحِ كُلَّ اللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَنَارُ الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ...لاَ تَطْفَأُ. ...نَارٌ دَائِمَةٌ تَتَّقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. لاَ تَطْفَأُ.» (لا٦:٩-١٣).

نار المذبح هي نار دائمة لا تطفأ إطلاقًا، وهي ليست غريبة ولا خارجية بل هي نار إلهية، من أعلى من السماء. ماذا يعني هذا؟ يعني أن مذبحنا المقدس مملوء من مجد الله. فالطبيعة الإلهية السرية تأخذ شكل النار.

هذا المذبح الإلهي هو مثال لعمانوئيل نفسه الذي بواسطته نصل إلى الله الآب، وعلى هذا المذبح نُقدم عقليًا كذبائح بخور فضائلنا وتقديس حياتنا. لهذا يقول الرسول: «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.» (رو ١٢:١).

النيران تنزل على المذبح من السماء ولا تتوقف عن أن تحرق، ولا يحدث أن يخفت اللهب أو يختفي، بل تظل دائمًا على المذبح وتشتعل بلا انقطاع. فنار المذبح تصور – كمثال في الظل – الروح القدس نازلًا في شكل نار فوق المسيح مستقرًا دائمًا فوقه. بمعنى أن نار المذبح لا تخبو أبدًا فوقه. إذ أن **يوحنا المعمدان** قد سبق وشهد عن المسيح قائلًا:«إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ... فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (يو ١:٣٢-٣٣).

وكون أن الروح يشبه طبيعة النار يخبرنا عنه يوحنا المعمدان متحدثًا إلى جمع اليهود: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ... هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.» (يو ١:٢٦) (لو ٣:١٦)، إلَّا أننا لا نُعمَّد في نار محسوسة بل الروح القدس الذي يُشَبَّه بنار تُزيل دنس النفس، لأجل هذا مكتوب عن المسيح: «وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ، وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصًا وَمُنَقِّيًا لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِيَكُونُوا مُقَرَّبِينَ لِلرَّبِّ، تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ.» (ملا ٢:٢-٣).

إذن نار المذبح لا تُطفأ لأن الروح القدس استقر فوق المسيح، بالرغم أنه موجود فيه بحسب الطبيعة لأنه هو في الواقع **الله ذاته**. أيضًا كل من تقدس بالإيمان باسم يسوع المسيح، يصير بالتالي متقبلًا للروح القدس ويصير هو نفسه أيضًا مَذْبحًا لله!

ولهذا فإن كل الذين كرسوا حياتهم للمسيح يجب ألَّا يفقدوا أبدًا نار الروح القدس، لكن يحفظونَ هذه النار داخلهم بغير أنطفاء. يجب عليهم ألَّا يجعلوا **برودة الرغبات والشهوات العالمية تطفئها**، بل عليهم أن يُجَدِّدُوا هذه العطية بانتظام في ذهنهم بالتقديس، من خلال محبتهم لله والرغبة في الفضيلة. هذا هو نموذج العبادة الروحية المُنتظرة من كل المسيحين.

ذبيحة المحرقة يجب أن تحترق على المذبح نهارًا وليلًا، لأنها تشير إلى رائحة المسيح التي لا تنتهي. ورائحة المسيح هذه ترتبط أيضًا بحياة القديسين، التي تشبه ذبيحة المحرقة التي تعكس رائحة المسيح في تقدمتهم لحياتهم بحسب الإنجيل ذبيحة لله.

أنَّ ذبيحة المحرقة تشير إلى التكريس الكامل للقديسين المُتميزين.

# كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
# كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
# بمناسبة الاحتفال بعيد هامتي الرسل بطرس وبولس

«لقد وفد بازغًا على كنيسة المسيح عيد الرسولَيْن الموقَّر بسبب الخلاص. فلنتهلّل مُبتهجين ابتهاجًا روحيًا. ولنهتف نحوهما قائلين: السلام عليكما ياكوكَبَيْن نَيّرَيْن للذين في الظلام. وشعاعَيْ شمس البِرّ. السلام عليكما يا بطرس وبولس يا قاعدتي العقائد الإلهية الراسخَتَيْن. فيا صديقَي ٱلمسيح الإناءَيْن الكريمَيْن. احضرا بيننا حضورًا غَيْرَ منظورٍ. وامنحا المواهب غير الهيولية للذين يمتدحون عيدكما بالأناشيد.» هذا ما يقوله مرنم الكنيسة.

**أيها الإخوة المحبوبون بالمسيح،**

**أيها الزوار المسيحيون الأتقياء،**

إنّ الذكرى السنوية لعيد هامتي الرسل المُوَقَّرَيْن بطرس وبولس قد جمعتنا اليوم في هذا المكان المقدس في مدينة كفرناحوم هذه المدينة التي ورد ذِكرُها في الإنجيل المقدس، لكي نرفع المجدَ والشكر لإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح المحب البشر على إحساناتِهِ التي أغدقها على جنس البشر من خلال الكوكبَيْن العظيمين اللذين أنارا المسكونة كلها بأقوال إنجيل المحبة والسلام.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:**« من هو الأعظم من بطرس؟ وهل يمكن أن يوجد من هو مساوٍ لبولس؟ لقد انتصرا بأعمالهما وبتعاليمهما على الخليقة كلها المنظورة وغير المنظورة. وعلى الرغم من أنهما كانا يمتلكان أجسادًا بشريّة أرضيّة إلّا أنهما تجاوزا طبيعة الملائكة. ماذا نقول عن معلمي الخليقة العلوية والسفلية؟ إني لا أجدُ أقوالًا ملائمة لكي أمتدح من مَجَّدَ جنس البشر!!، لقد جاب هؤلاء الأرض كلها وركِبَا جميع بحار العالم، لكي يقتلعا أسباب الخطيئة من الناس الأشقياء ويزرعا في قلوبهم بذرة الإيمان الحَسَن»

حقًّا أيها الأخوة «إني لا أجدُ أقوالًا ملائمة لكي امتدح من مَجَّدَ جنس البشر».

وهذا لأن **بطرس الهامة** قد اعترف بأن المسيح هو ابن الله الحيّ:«فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ.» (متى ١٦: ١٦)

وأما **بولس الهامة** فقد ٱختطف إلى الفردوس وسمع أقوالًا لا توصف، ورأى ما لم تَرَهُ عين ولا يستطيع أن يقولها لجنس البشر «أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا.» (٢كور ١٢: ٤)

لقد قال ربنا يسوع المسيح لبطرس: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْني كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ». (متى١٦: ١٧-١٩) وأما عن بولس فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ **(لحنانيا في دمشق ليعمّد بولس):** «اذْهَبْ! لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي». (أعمال ٩: ١٥-١٦)

وبكلامٍ آخر إنّ هذين الرسولين الإلهيين قد استبانا حقًّا أعمدةً للكنيسة وكواكب أنارت المسكونة قاطبةً من خلال تعاليمهم الشريفة كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** «آنية الروح، مفسري الثالوث القدوس، اللذين كرزا بالكلمة الإلهية للمسكونة»

حقا إن هذين الرسولين الإلهيَّيْن «هما اللذان أوصلا الكلمة الإلهية للمسكونة» أي هما المعلمان والمرشدَان لأنّهما قد بيَّنا لنا، «مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْو»، لتنازل المسيح ورحمته (أفسس ٣: ١٨) عدا عن ذلك فإن هذين القديسين يُعرفان بأنهما مهندسا الروح لنظام ودستور الكنيسة على الأرض، أي هما اللذان صاغا وشكّلا في الروح القدس نظام وقانون إدارة رئاسة الكهنوت في الكنيسة. فَلْنُصْغ لما قالهُ القديس بولس الإلهيّ: «وَهُوَ أَعْطَى (أي الرب) الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ» (أفسس ٤: ١١-١٢) وفي موضع آخر قالَ:«وَلكِنْ نَحْنُ لاَ نَفْتَخِرُ إِلَى مَا لاَ يُقَاسُ، بَلْ حَسَبَ قِيَاسِ الْقَانُونِ الَّذِي قَسَمَهُ لَنَا اللهُ» (٢كور ١٠: ١٣) أي لا نفتخر نحن لأتعاب آخرين خارج حدود خدمتنا ولكن نحن نفتخر لمن هم حقًّا

في داخل حدود خدمتنا التي قَسَمَها الله لنا كقياس لمحيط خدمتنا وعملنا. فَلْنَسْمَعْ ما يتفوه به القديس بطرس قائلًا:«أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَفِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ لآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ، ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّارًا، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ.» (١بط ٥: ١-٣)

إن هامتي الرسل بطرس وبولس يحظيان بالتكريم بشكل خاص من كنيسة المسيح المقدسة، ليس لقُوَّتهما الخارقة أو لعمل الروح القدس فيهما بشكل متميز ومختلف عن باقي الرسل والإنجيليين الآخرين، بل بالأحرى يتميزان بتنويع مواهب الروح القدس، كما يكرز الحكيم بولس وبطرس الإلهي. فبحسب بولس الرسول:« أَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ.» (١ كور ١٢: ٤-٧)

وأما بحسب القديس بطرس: «لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ.» (١بطرس ٤: ١٠).

إننا مدعوون أيها الإخوة الأحبة بحسب بشارة وشهادة ربنا يسوع المسيح أن نشابه ونتمثل بالغيرة المقدسة والمحبة الفائقة للمسيح، لهذين الرجلين العظيمين في الإيمان المسيحيّ، **بطرس** «الذي هو صَخْرَةُ الإيمان» (متى ١٦: ١٨) وأما **بولس** «فهو إِنَاءٌ مُخْتَارٌ» (أعمال ٩: ١٥-١٦)

هذه المحبة والغيرة التي يؤكد عليها بولس الرسول قائلًا:« مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.» (غلاطية٢: ٢٠)

ومع المرتل نهتف بشفاعة والدة الإله سيدتنا الدائمة البتولية مريم نقول: «السلام عليكما يا بطرس وبولس يا قاعدتَي ٱلعقائد الإلهية الراسختَيْن. فيا صديقَي ٱلمسيح الإناءيْن الكريمَيْن. احضرا بيننا حضورًا غير منظورٍ. وامنحا المواهب غير الهيولية للذين يمتدحون عيدكما بالأناشيد.»

آمين

## كل عام وانتم بألف بخير

## الداعي بالرب
## البطريرك ثيوفيلوس الثالث
## بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

## «فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ.»(متى ٦: ٣٤)

اعتاد أحد الفلاسفة أن يُسافر كثيرًا للبحث عن الحكمة والفلسفة. وفي أحد الأيّام، وبعد أن قضى النهار كلّه في المناقشات الفلسفيّة، دخل ليبيت مع تلميذه.

وبعد دخولهم غرفة النوم بدقائق استغرق التلميذ في نومٍ عميقٍ، وأمّا الفيلسوف، فرَغْمَ إرهاقه الشديد لم يستطع أن ينام، وكان ينظر إلى تلميذه فيجده مُستمتعًا بنوم عميق. فاغتاظ جدًّا لعجزه عن النوم، وفي النهاية أيقظ تلميذه وسأله:

– كيف استغرقت بسرعة في نومٍ عميقٍ، فيما أنا عاجزٌ تمامًا، عن النوم؟

كان التلميذ يعرف أنّ الفيلسوف لا يهدأ عن التفكير في كلّ شيء، وما أسبابه ونتائجه، وكيف سيحلّ المشكلة الفلانيّة، وكيف سيواجه الفيلسوف الفلانيّ في الموضوع الذي كانا يتحاوران بشأنه، وكيف... وكيف... أيّ أنّه لا يهدأ عن التفكير، ولذا عجز عن النوم، فسأله:

– هل كان الله يدير الكون قبل أن تولد؟

– نعم.

– وهل سيُدبّر الله الكون بعد أن تموت؟

– نعم.

– إذًا، دعه يُدبّر أيضًا هذه الليلة.

– ولكنّي لا أستطيع، إذ ماذا...

– فقاطعه التلميذ قائلًا: ماذا وماذا وماذا، وماذا تستطيع أن تفعل إذا متّ في هذه الليلة. دع الله يدبّر أمورك كلّها ونم أنت بهدوء، فتفكيرك لا يجدي نفعًا إذا لم يُرد الله أن يبقيك إلى الصباح.

فوافق الفيلسوف، وحينئذ نام بهدوء.

**أحبّاءنا، العقل هبة من الله يستخدمها الإنسان فيما يفيده، فيدرك به أعمال الله وعنايته للبشر، وبه أيضًا، يسعى لراحة الآخرين وإسعادهم. هذا كلّه يحدث إن كان العقل خاضعًا للروح القدس الساكن فيه.**

**ولكن إن ازداد سُلطان العقل عليك يمكن أن يُقلقك، وبدلًا من أن تستخدمه يستخدمك، فيثير الاضطرابات داخل نفسك. ومع أنّك إنسان محدود، ولكنّك تودّ أن تعرف كلّ شيء بعقلك، وهنا يظهر عجزك وضعفك. أمّا النشاط العقليّ الزائد، فيؤدّي إلى تذمّرك على الله وضيقك من الناس.**

**ليتك تتّكل على الله في أمورك كلّها، واثقًا من محبّته ورعايته لك، فتعمل ما تستطيعه من دون إهمال أو كسل، وتترك الباقي بإيمان في يده.**

# نازفة الدم وابنة رئيس المجمع

## العلّامة أوريجانوس

«وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يَايِرُسُ قَدْ جَاءَ، وَكَانَ رَئِيسَ الْمَجْمَعِ، فَوَقَعَ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، لأَنَّهُ كَانَ لَهُ بِنْتٌ وَحِيدَةٌ لَهَا نَحْوُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ فِي حَالِ الْمَوْتِ. فَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ زَحَمَتْهُ الْجُمُوعُ. وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ، جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. فَفِي الْحَالِ وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا. فَقَالَ يَسُوعُ:«مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟» وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يُنْكِرُونَ، قَالَ بُطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ: «يَامُعَلِّمُ، الْجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ عَلَيْكَ وَيَزْحَمُونَكَ، وَتَقُولُ: مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟» فَقَالَ يَسُوعُ:«قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي». فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَفِ، جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَخَرَّتْ لَهُ، وَأَخْبَرَتْهُ قُدَّامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ لأَيِّ سَبَبٍ لَمَسَتْهُ، وَكَيْفَ بَرِئَتْ فِي الْحَالِ.فَقَالَ لَهَا:«ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ».

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلًا لَهُ:«قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ. لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ». فَسَمِعَ يَسُوعُ، وَأَجَابَهُ قَائِلًا: «لاَتَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى». فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَّا بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَأَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطِمُونَ. فَقَالَ:«لاَ تَبْكُوا. لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ، عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ. فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ خَارِجًا، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلًا:«يَا صَبِيَّةُ، قُومِي!». فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ. فَأَمَرَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ. فَبُهِتَ وَالِدَاهَا. فَأَوْصَاهُمَا أَنْ لاَ يَقُولاَ لأَحَدٍ عَمَّا كَانَ.» (لوقا ٨:٤١-٥٦).

.... هذا هو السرد التاريخي (المستوى الأول للمعنى) لمعجزة إقامة أبنة يايرس ونازفة الدم (لو ٨، مت ٩).

يجدر بنا أن نتأمل الحدث بانتباه أكبر وبشكل أدقّ. لنترك الناس البسطاء يُعجبون بأعمال الله العظيمة بحدٍّ ذاتها، لأن هذه الأعمال تُهذّب النفس، حتى ولو تم أخذها بصورة حرفية.

لكنَّنا قادرون أن نمضي قُدُمًا نحو الكشف (المعنى الباطني)، عالمين أن «هٰذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً، وَكُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا نَحْنُ.» (١ كو ١٠:١١).

دعونا نصلي إلى الله ونسأل «كلمته» لكي يأتي ويشرح لنا هذه الأمور: لماذا كان يسوع ذاهبًا في أول الأمر إلى ابنة رئيس المجمع وليس للمرأة نازفة الدم، التي قابلته على قارعة الطريق؟ ولماذا بالرغم من أنه كان ينوي التوجه أولًا إلى ابنة رئيس المجمع، إلَّا أنه أتم شفاء هذه المرأة أولًا؟

ابن الله ذهب أولًا إلى ابنة رئيس المجمع اليهودي – أي ذهب أولًا لليهود – ووجدها مريضة تُحتَضَرُ، لأن تعديات إسرائيل جعلتها تموت.

أما المرأة نازفة الدم التي كانت في الطريق، مملوءة بالنجاسة، التي كانت دماؤها تسيل: {«وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا» (لا ١٥:٢٥)}، بل في كل وقت، التي كانت مريضة بخطايا كثيرة بلون القرمز (أش ١)، فهي تمثل كنيسة الأمم. وهي قد آمنت بابن الله قبل المرأة الأخرى (اليهود). مشى يسوع قبالتها، وهي تَبِعَتْهُ، راغبة في أن تلمس ولو «هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطْ» (لو ٨).

إنَّ لوقا أضاف ما لم يذكره متى، أضاف أن ابنة رئيس المجمع كان عمرها اثني عشر عامًا. والمرأة نازفة الدم مكثت مريضة أيضًا لمدة اثنتي عشرةَ سنة (لو ٨، مت ٩). هكذا نرى أن سيل دماء المرأة بدأ بعد ولادة الطفلة. هذا معناه أنه طالما المجمع (اليهود) يعيش، فالمرأة (الأمم) تكون في حالة عِصْيَان. وبداية خلاص المرأة (الأمم) يتزامن مع وقت موت الطفلة (اليهود). لأن الفتاة تموت في سن الثانية عشرة، والمرأة تؤمن ويتم شفاؤها بعد اثنتي عشرة سنة من الألم والمعاناة.

«وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ» (لو ٨)، ولا واحد من الأطباء. لأن كثيرين من الأطباء وعدوا بشفاء الأمم. إذا رأيتم الفلاسفة ينادون بحقٍّ ما، فهم أطباء يحاولون تقديم الشفاء. لكن المرأة «أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ». لكنها عندما لمست هُدْبَ ثوب يسوع – الطبيب الوحيد للنفوس والأجساد – تم شفاؤها مباشرة، من خلال إيمانها الناري.

عندما نتأمل إيماننا في المسيح يسوع، وندرك مقدار عظمة شخص ابن الله، ومن هو هذا الذي نلمسه، نتحقق أنَّنا لم نلمس بعد إلَّا جزءًا قليلًا من هُدب ثوبه. لكن في نفس الوقت هذا الهُدب يشفينا ويجعلنا نسمع من يسوع: «ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (لو ٨).

وبعد أن يتم شفاؤنا، سوف تقوم ابنة رئيس المجمع أيضًا. لأن الكتاب يقول: «أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيًّا لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ، وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ.» (رو ١١:٢٥-٢٦).

*Reference: Fathers of the Church Series, Volume 94, Homilies on Luke, By Origen, Catholic University of America.*

## معرّب عن الفرنسية من كتاب العالم الروحيّ

التواضع هو أحد المواضيع المحبّبة لدى القدّيس اسحق السوري، يعود إليه في كلّ مناسبة، ويشير دائمًا في عظاته وتعاليمه. وهو يقدّمه لنا في هذا الفصل كطريقة تُعَلِّمُنَا كيف نتشبّه بالله، ويلقي تاليا الضوء على الدلائل والسِّمَاتِ الخارجيّة والداخليّة للتواضع الحقيقيّ.

### أوّلاً: التواضع كوسيلة تجعلنا نقتدي بالله:

أن يتحدّث المرء عن التواضع، بالنسبة للقدّيس اسحق السوري، يعني أنّه يتكلّم عن الله ذاته: «لأَنِّي (الله) وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» كما يقول الكتاب (متى ١١:٢٩). ظهر هذا التواضع للعالَم عَبْرَ تَجَسُّدِ المسيح الكلمة. بقي الله غير منظور في العهد القديم، وغير مقترَب إليه من الذين يريدون الدُّنُوَّ منه. لكن عندما تردَّى الله بالتواضع، وأخفى مجده تحت ستار الجسد البشريّ، عندها صار منظورًا ومقتربًا إليه. التواضع هو لباس الألوهيّة، لأنّ الكلمة صار إنسانًا أي لَبِسَ التواضع وعلّمنا إيّاه من خلال تعاليمه. كلّ الذين توشّحوا بالتواضع أصبحوا مشابهين حقيقة لمن نزل من عُلُوِّهِ، وأخفى عِظَمَ جلاله ومجده وراء جسد متواضع خوفًا من أن تنمحق الخليقة كلّها، إنْ عايَنَتْهُ في بهاء مجده وجلاله.

كلّ مسيحيّ مدعوّ لكي يقتدي بالمسيح في تواضعه، لذلك كلّ إنسان لبس التواضع يكون تلقائيًّا قد لبس المسيح.

التواضع المُقْتَرِنُ بالجهاد الشرعيّ الصحيح يجعل الإنسان إلهًا على الأرض. كلّ من اختاره الله، وجاهد ليصبح متشبّهًا به لا يتألّه بالنعمة، وإن مارس كلّ أنواع الجهادات النُّسْكيّة إن لم يَقْتَنِ التواضع. النُّسكُ بدون التواضع لا يفيد شيئًا بينما التواضع من دون النُّسْكِ يكفي لكي نصير أبناء لله.

إن جاهد المتواضع داخليًّا دون نُسْكٍ خارجيّ يحصل على غفران الكثير من زلاّته. يستطيع المتواضع الاقتراب من الحيوانات المفترسة دون وَجَلٍ إذ ما إن يقع نظرها عليه حتى تفقد شراستها، وتدنو إليه كما إلى سيّدها، وَتَلْطَعُ (تلحس) يديه وقدميه، لأنّها تشتمّ فيه رائحة برارة وبراءة آدم الذي أطلق عليها أسماءها، تلك الرائحة التي كان ينتشر عطرها قبل السقوط. والشياطين أيضًا، بالرغم من عداوتها وعجرفتها، تصير كالغبار أمام المتواضع وتهابه، ويتلاشى خبثها ودهاؤها، وتتمزّق كلّ فِخَاخِها الشرّيرة، وتحبط حِيَلُها وتفقد قوّتها، فلا تعود قادرة على إلحاق الأذيّة.

للتواضع قوّة سريّة يكتسبها القدّيسون عندما يبلغون الكمال. **هذه القوّة أُعطيت للرسل يوم العنصرة** عندما طلب منهم يسوع بألّا يغادروا أورشليم، حتّى ينالوا قوّة من العلاء. يستحقّ المتواضعون تلقّي إلهامات الروح القدس الذي كان يلقّنهم معرفة الأسرار. لهذا السبب يصف القدّيسون التواضع على أنّه فضيلة ترفع النفس، وتسمو بها عَبْرَ الرؤى الإلهيّة، فمغبوط من نال التواضع، فقد ربح الملكوت، لأنّه في كلّ وقت يتّكئ على صدر المسيح مثل يوحنّا الحبيب.

يَنْتُجُ تواضع القلب إمّا عن معرفة الإنسان الحقيقيّة لخطاياه، أو يكون ثمرة تأمُّلِ تَنَازل وعظمة سيّدنا يسوع المسيح الذي استعلن للبشر، واتّخذ جسدًا لأجلنا، وسكن بيننا.

إنّ التواضع الفِطْرِيَّ لا يحلّ أبدًا مكان التواضع الناتج عن توبة عميقة، أو الناتج جرّاء التأمّل بعظمة الله. فليس كلّ الذين هم بالفطرة لطفاء طيّبون هم متواضعون، لأنّ التواضع الحقيقيّ هو عطيّة فائقة الطبيعة ممنوحة لنا من العلاء. فلا علاقة للتواضع الفطريّ مع التواضع الإلهيّ، وإن كان أصحاب النوع الأوّل طيّبين، إلّا أنّهم لا يملكون الحرارة الداخليّة التي توصلهم إلى النوع الثاني، ولا الخضوع والتنازل بتمييز، ولا الأفكار المتواضعة المملوءة من الحكمة الإلهيّة والتي تجعل الإنسان يحسب نفسه كلا شيء، مذلولًا متوجّع القلب تفيض من عينيه دموع غزيرة، بالإضافة إلى إرادة واعية وناضجة بالروح القدس. وبما أنّه ينقصهم روح التأمّل، فهم لا يشعرون **بفداحة خطاياهم**، وبالتالي لا يحزنون عليها، وليس ما يحرّك ضمائرهم لكي يتأمّلوا تنازل المسيح وتدبيره الخلاصيّ من أجلنا، ولا من حرارة تشعل قلوبهم لدى تذكّرهم الخيرات المستقبليّة، كما أنّهم لا يملكون أيّة أفكار مفيدة توقظ قلوبهم، فيدركون حاجتهم الماسّة إلى المسيح. وإن جعلنا الأشخاص الطيّبين واللطيفين بالفطرة بين صفوف المتواضعين الحقيقيّين، علينا إذًا أن نحسب أيضًا الخصيان بالطبيعة، وليس بإرادتهم، بين صفوف العذارى والمتبتّلين. لقد تلطّفت نزعات هؤلاء، وهدأت ميولهم، وسكنت غرائزهم بسبب ما ورثوه عن أهلهم، وليس نتيجة قوّة إرادتهم أو جهادهم. هذا النوع من الأشخاص لم يختبروا حالة النعمة التي يكتسبها الإنسان المؤمن، وما يتذوّقه من تعزيات، وما تغدقه عليه من مواهب بسبب محبّة الربّ له.

### التواضع الداخليّ:

**ميزاته:** يتميّز التواضع الحقيقيّ كصفة للإنسان الداخليّ عندما يقوم على الثقة الكاملة والتسليم الكلّيّ لله والشكّ بالذات وبالأنا. كما يتّسم بشعور عدم الاستحقاق، وانسحاق القلب، والإحساس بحضور الروح القدس الساكن والمستريح في أعماق القلب. ويتّضح التواضع أيضًا في مظهر خارجيّ بسيط، لا تَصَنُّعَ ولا تأنُّق فيه، ثياب فقيرة، تَحَفُّظٌ واحتِراسٌ في الكلام، عدم المقاومة، احترام الآخرين، الهرب من

المجد والقلق، الابتعاد عن كلّ ما يسبّب له الوقوع في الخطيئة.

لا ينفصل الوجه الخارجيّ للتواضع عن الداخليّ. التواضع الخارجيّ لا يكفي، بل قد يصبح خاطئًا إن لم يرافقه تواضع القلب أمام الله. والداخليّ لا يكون سليمًا وصحيحًا إن لم يتجلَّ أو يظهر في تصرّفات الإنسان الخارجيّة. أمّا علاماتهما فهي:

**الحياء والاحتشام، الخشوع، حواسّ عفيفة غير مشتّتة بشكل عامّ، صوت منخفض هادئ، كلام قليل، احتقار للذّات، لباس فقير، مشية رزينة، نظر منخفض، رأفة غزيرة تجاه الجميع، دموع فيّاضة، نفس متماسكة، قلب منكسر، نفس وديعة لا تجنح بسهولة نحو الغضب، مقتنيات قليلة والتكيّف مع الحاجيّات المتوفّرة، تحمّل الصعاب والتجارب، الصبر على الشدائد، غياب الخوف، قلب شجاع بسبب الزُّهدِ بالحياة الحاضرة، أفكار صالحة متّزنة وغير سطحيّة، التأمّل في الأسرار الإلهيّة، البساطة، الاحترام وأيضًا الهدوء أو السكون. الإنسان المتواضع هو إنسان سلاميّ مطمئنّ، أمين في إتمام أعماله، دقيق في حياته، يعترف دائمًا بجهله.**

من مناسك الرهبان في جبل آثوس في اليونان

أمّا إذا أردنا أن نفصل بينهما، فإنّ علامات التواضع الداخليّ هي: الشعور العميق بحضور الله إذ لا يستطيع أحد أن يتواضع من ذاته أو نتيجة لجهوده الخاصّة، إنّما يتواضع عندما يلتقي بالله، ويدرك عظمته، ويلمس أيضًا ضآلة نفسه. وهكذا يقترب الإنسان من الله بسكون، حاسبًا ذاته غير مستحقّ لكي يتلفّظ بأقوال الصلاة في حضور الذي هو فوق كلّ كلام وإدراك. صلاة عميقة ومتواضعة كهذه تقودنا إلى التأمّل ومعرفة أسرار الله.

الإنسان المتواضع لا يفكّر كيف يصلّي، ولا ماذا يجب أن يقول، لأنّ ملكوت الله في داخله. إنّه ينتظر فقط رحمة الله، شاكرًا إيّاه على كلّ ما يسمح به من أجله. عندما يحني رأسه إلى الأرض، يرتفع قلبه في تأمّل الإلهيّات، ويقوده هذا التأمّل إلى قدس الأقداس، إلى ذاك الذي مسكنه النور المنبلج في الظلمة، وإذ يخيّم الصمت على صفوف السيرافيم المنبهرة من النور تخفض عيونها إلى أسفل. أمّا المتواضع فيغدو ضعيفًا غير قادر على تحمّل أمواج الأسرار الإلهيّة، وحينها فقط يتجرّأ وحده لأن يقول في صلاته: «فليكن لي يا ربّ بحسب مشيئتك».

ومن أهمّ دلائل التواضع الداخليّ هو عزوف الإنسان عن العالم فيحتقر شأنه، وهذه هي الحكمة الروحيّة. هناك من يسأل كيف نستطيع أن نعرف بأنّنا قد بلغنا التواضع. الجواب هو عندما نمقت إرضاء أهل العالم، ونبتعد عن مزاولة كلّ ما يخصّه من أعمال، ونبدي كرهنا للأمجاد العالميّة. وهناك أيضًا إشارة أخرى لا تقلّ أهمية عمّا سلف ألّا وهي يقظة الضمير الذي يوحي لنا بألّا نتّهم الله بكلّ ما يعرض لنا، ولا نلوم القريب أو ظروف الحياة، ولا نبرّر ذواتنا.

إنّ الذي يطيع تبكيت ضميره يبلغ إلى سلام النفس ويتصالح مع الله. وغياب كلّ ما أشرنا إليه من علامات التواضع الحقيقيّ، لا يدلّ بالحقيقة إلّا على **قساوة القلب**. هذه القساوة التي تلوم دائمًا الآخر مبرّرة ذاتها بشكل متواصل، لا بل تتجاسر على لوم العناية الإلهيّة. لا نخسر التواضع الحقيقيّ، إلّا إذا رأينا ذواتنا منزّهة عن العيب، لا نلومها، بل نلقي اللوم كلّه على الظروف والمناسبات والأحداث، التي يدبّرها لنا الله بمعرفته من أجل خلاصنا. لكن إن فحصنا ضميرنا جيّدًا، وخضعنا برضا للحوادث والظروف نحقق التواضع العميق والذي يظهر من خلال حالة التسليم الكلّيّ لمشيئة الله، ومن حالة السلام والسكون الثابتة فينا، والتي لا تتزعزع مهما حصل لنا. هذه هي الوداعة وثمرة النضوج الروحيّ. إنّ الذي بلغ حدّ الوداعة هذه، سوف يلاحظ ما يشعر به من راحة إبّانَ كلّ تجربة، وتجاه كلّ إهانة. الهدوء هو من مميزات التواضع، ويتجلّى في غياب كلّ خوف أمام الأحداث، وفي الثقة بالعناية الإلهيّة التي تحمي من كلّ شرّ.

المتواضع لا يشعر بالإحباط أو الاضطراب البتّة، ولا تضعف عزيمته، كما أنّه لا يعاني ضغطًا ما، ولا يترك أفكاره تهتاج أو تحتدم لأيّ سبب. إنّه لا ينفعل وإن أحسّ بسقوط السماء على الأرض، بل يبقى هادئًا رزينًا في صفاء وتسليم.

ليس كلّ الناس الطيّبين هم متواضعون، إنّما كلّ المتواضعين هم طيّبون. المتواضع هو دائمًا في راحة ولا شيء يعكّره ويفقده سكونه، وكما أنّه لا أحد يقدر أن يُرعب الجبل، هكذا أيضًا لا أحد يستطيع أن يخيف المتواضع. المتواضع لا يخشى مغبّة الأمور التي تطرأ عليه فجأة لأنّه لا يخاف إلّا الله. خوف الله يَطْرُدُ كلّ خوف آخر من قلبه ما عدا خوفه من أن يخطئ إلى الله ويحزنه، لهذا يسعى إلى عدم إغضابه بالتصرّف السيّئ أو بالفكر الشائن. يتولّد التواضع من مخافة الله التي تجعل الإنسان ذا قلب منسحق مع فرح روحيّ.

هناك تواضع يأتي من مخافة الله، وتواضع آخر يتولّد من محبّة حارّة لله. يتأتّى الأوّل بسبب الخوف، والثاني بسبب الفرح. يتّصف الأوّل ببساطة تشمل كلّ الحواسّ مع حركات منضبطة وقلب دائم الانسحاق. أمّا الثاني، فيتّصف بحيويّة وصدر رحب لا يعرف القلق ولا الحزن. آباء المدرسة الأنطاكيّة المفسّرة للكتاب المقدّس دعوا المسيحيّين في أنطاكية لكي يحرثوا قلوبهم بمحراث التواضع والبساطة.

يشبّه القدّيس اسحق التواضع بالطفولة، فالمتواضعون يماثلون الأطفال في بساطتهم وبراءتهم كما يقول الكتاب المقدّس: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَعُودُوا فَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَطْفَالِ، لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (متى ١٨:٣). وتوسّع القدّيس اسحق السوري في هذا الصدد

ملاحظًا كيف أنّ ٱلْتِئامَ الطفل يكون سريعًا لكونه ضعيفًا، طريّ العود وهذا ما يجعل الله يعتني به عناية خاصّة. هكذا على المتواضع أن يكون كالطفل يتحمّل الجراح دون معارضة أو مقاومة ولو تأذّى.

لقد قيل: «الربّ يحفظ الأطفال» (مز١١٤: ٦)، فقد يمسك الطفل الأفعى دون خوف ولا تسبّب له أيّ ضرر، ويتمشّى عاريًا حافي القدمين طوال فصل الشتاء، ويلامس البَرْدُ أعضاءه وهو لا يشعر به، بينما يكون الناس لابسين معاطفهم. يُمْضِي يومه كلّه في الصقيع والثلج ولا يضرّه شيء، لأنّ جسده البريء محاط بلباس آخر غير منظور يحميه، لباس مُحَيَّط من العناية الإلهيّة التي تحمي أعضاءه الطريّة من أيّ ضرر.

«الربّ يحفظ الأطفال» ليس فقط ذوي الأجساد الهزيلة الضعيفة السريعة العَطَب، إنّما أيضًا أولئك الذين تركوا علومهم وحكمتهم التي كانوا يتّصفون بها، وهم في العالم وقد تركوه لكي يتكرّسوا كلّيًّا لتلك الحكمة العلويّة التي تُغْنِي، ولكي يعودوا بٱختيارهم وإرادتهم كأطفال صغار. لهذا فالإنسان المتواضع تحميه العناية الإلهيّة وتعضده بشكل خاصّ.

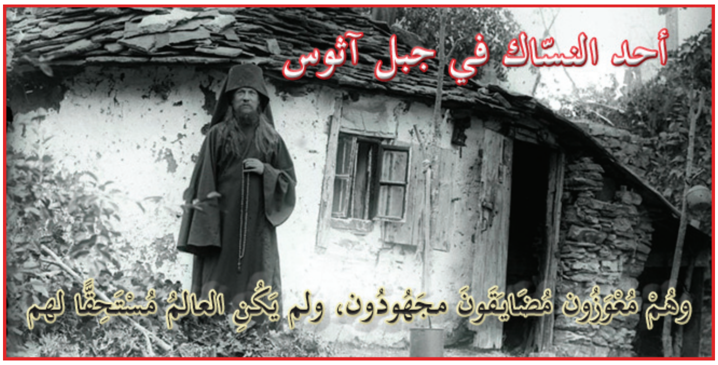


هذه العناية تشمله كلباس وتقيه من كلّ خطر يأتيه من الخارج. بمعنى آخر يدخل الإنسان المتواضع في علاقة خاصّة مع الله، أي عندما يتخلّى عن الأساليب الطبيعيّة للدفاع عن نفسه، ويضع كلّ رجائه وثقته في الله الذي يهتمّ بالأطفال.

ويعلّمنا القدّيس بولس بأنّه في الضعف تكمل قوّة الله، «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو١٢: ٩). عندما يشعر الإنسان بضعفه ويدعو الله طالبًا معونته، سوف تُستجاب طلبته بالتأكيد من هنا يكون الترابط بين التواضع والصلاة. فمغبوط هو من عرف ضعفه، لأنّ هذه المعرفة تصير له أساسًا وبداية كلّ خير. من يحتاج إلى معونة الله يكثّف الصلاة. وكلّما ضاعف صلاته اتّضع قلبه، لأنّه من المستحيل ألّا يتواضع، من يتضرّع ويلتمس الرحمة «القلب المتخشّع والمتواضع لا يرذله الله» (مزمور ٥٠). لذلك يجب أن نصلّي ليمنحنا الله نعمة التواضع إذ يتعذّر علينا أن نكتسبه باعتمادنا فقط على الطرق والأساليب البشريّة. فما هو مستحيل عند الإنسان مستطاع عند الله. بدل أن تسأل من أجل هذه التجربة أو تلك، وَعِوَضَ أن تطلب هذا الأمر أو ذاك، اترك كلّ شيء وصلّ بثبات قائلًا: «هَب لي يا الله التواضع لكيما أنجو من العقاب المُعَدِّ للمتكبّرين، وحتّى أستطيع أن أحظى بنعمة الروح القدس»، فيعطيك الرب سُؤْلَ قلبك حتّى إنّك تنذهل من عظمة الخيرات التي تنالها.

إن الله يجعلك متواضعًا بطريقة سرّيّة خاصّة عندما يرى مثابرتك وَلَجَاجَتَكَ في طلبك التواضع. يجب أن تؤمن، يا أخي، بأنّ التواضع هو قوّة ما من لسان يستطيع وصفها أو إدراكها، كما أنّه ما من قوّة بشريّة تستطيع بساعدها البشريّ اكتساب التواضع.

## مظاهر التواضع الخارجيّ:

نبدأ بالإشارة إلى الابتعاد عن كلّ ما يشتّت الفكر، والهرب من كلّ وسائل الترف وملذّات العالم التي تبهر الألباب. فمن يملك مالًا وفيرًا، ويُربك نفسه بأعمال كبيرة وكثيرة، لا بدّ أن يجد ذاته مُقيَّدًا بيديه ورجليه بسلاسل هذا العالم. وعلى العكس من ينجح في تحاشي الأمور الدنيويّة، فقد حَظِيَ منذ الآن بالحريّة التي تجعله يماثل الله.

الإنسان المتواضع لا يفرح بالتجمّعات، ولا بالضجيج والصخب، ولا بالزخارف والتسليات وحياة الرخاء والترف، ولا بالمحادثات والمجالس وتشتّت الحواس، فرغبته بالدرجة الأولى هي في أن يبقى مع ذاته، يختلي بنفسه في السكينة والهدوء، في الصمت والعزلة. لا يسعى وراء كرامة، بل يختار العَوَزَ والفقر الإراديّ، لا ينغمس في أعمال معقّدة ومتنوّعة، بل يتمنّى أن يتحرّر من كلّ عمل واهتمام أرضيّ. لأجل كلّ هذه الأسباب نرى الإنسان المتواضع هادئًا، دائم الفرح، لطيفًا، بسيطًا، مُحْتَرَمًا. يتحاشى كلّ انخراط في النشاطات العالميّة، لأنّه يشعر وكأنّه غريب وضيف على المجتمع.

عَمَلُ الناسِك هو أن يحيا الغربة، وعليه أن يحترمها ويتقيّد بها أَنَّى وُجِد. اعتبر ذاتك غريبًا، أو كن غريبًا طوال أيّام حياتك وأينما كنت: غريبًا في علاقاتك مع أهل بيتك، وموطنك، غريبًا عن أيّ انتماء عِرْقِيّ. على الناسك أن يختار لذاته مكانًا هادئًا حيث لا ضجيج أو صخب، وأن يعيش فقيرًا، بل في عوز ماديّ، وحيدًا مُبتعدًا عن كلّ اتّصال مع الناس، وعن مزاولة كلّ عمل يخصّ العالم، وعن كلّ تعزية بشريّة.

لا تعني الغربة في التقليد النسكيّ بأن يحيا الإنسان حياة البدو أي التنقّل المتواصل من مكان لآخر، إنّما هي الاختلاء بالذات بعيدًا عن كلّ ما يلهي من أمور العالم، مع اليقين بتفاهة هذه الحياة الحاضرة، والزهد بكلّ ما هو أرضيّ للحظوة بما هو سماويّ. وهذا كلّه يقودنا إلى التواضع الحقيقيّ، أي تواضع الروح.

## كيف نكتسب إذاً التواضع؟

نكتسب التواضع بالتذكّر الدائم لتعدّياتنا متوقّعين الموت في كلّ لحظة، بارتدائنا لباسًا فقيرًا، باختيارنا المجلس الأخير، باندفاعنا نحو الأعمال الأكثر حقارة، بالتزامنا بأوامر الطاعة، بمحافظتنا على الصلاة والصمت الدائمين، بابتعادنا عن التجمّعات، وأن نكون مجهولين من كلّ أحد، وغير صالحين لشيء، غير منحصرين بنوع واحد من الأعمال النسكيّة المتعدّدة، كارهين الأرباح الماديّة، فارّين من إدانة الآخرين أو ملامتهم، متحاشين الدالّة والمعاداة، مهتمّين بأمورنا الخاصّة فقط، غير مرتبطين بأيّة مصالح مع الآخرين. وباختصار التغرّب عن كلّ أحد مع الفقر الطوعيّ. هذه كلّها تُطهّر قلب الإنسان وتولّد التواضع.

هناك علامات أخرى أساسيّة ولا يُستغنى عنها وهي: التحمّل

الطوعيّ لكلّ أنواع التحقير والإهانات الذي يمنح المجاهد دالّة في صلاته وعلاقته بالله. من يحتمل كلّ قساوة في الكلام صادرة من الآخر دون أن يردّ له المثل يضع إكليلًا من شوك على رأس مَنْ أهانه. ومن يحتمل أتعاب الآخرين بصبر يكون مُباركًا، وينال إكليلًا غير بال في ساعة لا يعرفها. إنّ المتواضع الحقيقيّ لا يضطرب أبدًا عندما يصنعون معه شرًّا، ولا يبرّر ذاته بما ظُلم به، إنّما يقبل الاتّهامات وكأنّها حقيقيّة. لا يشتكي أمام الآخرين، إنّما يطلب فقط العفو والمسامحة.

من لا يتذمّر على المضايقات والاتّهامات والشكاوى التي تصادفه فقد اقتنى فضيلة سامية. والذي يتقبّل خبث الآخرين بفرح، ينال من الله التعزية، ومن يصبر بتواضع على الافتراءات الموجّهة إليه، يحصل على الكمال، وتغبِطُهُ الملائكة لأنّه ليس من فضيلة أعظم من هذه. وكما ترافق النعمة الإنسان المتواضع، هكذا ترافق المصاعب والأحزان الإنسان المتكبّر. «عينا الربّ على المتواضعين وأذناه تصغيان إلى استغاثتهم، ووجهه يلقى المستقيمين» «الله يقاوم المستكبرين» لكي يجعلهم متواضعين. المتواضع يحصل دائمًا على رحمة الربّ، أمّا القاسي القلب والضعيف الإيمان فتعترضه أمور رهيبة.

تنازلْ بكلّ الطرق والوسائل الممكنة أمام الجميع، وسوف تتعظّم فوق ملوك هذا الدهر. كن مُحتقرًا في عيون نفسك، ترَ مجد الله داخلك، لأنّه حيث يَنْبُتُ التواضع هناك أيضًا يظهر مجد الله. تنازلْ دومًا أمام الجماعة التي تعيش معها، واهرب من المجد الباطل لكي تنال المجد العلويّ.

يظهر التواضع الحقيقيّ في احترام القريب أكثر ممّا يستحقّ. فالإنسان المتواضع يعامل كلّ الذين يلتقي بهم باحترام وتقدير ومحبّة. فعندما تلتقي بقريبك، اجتهد أن تسبقه مقدِّمًا له الاحترام الواجب. قبِّل يديه ورجليه باحترام كبير، وهنّئه على صفات لا يتمتّع بها، وعندما يغادرك أخبر عنه كلّ ما هو حسن قدر الإمكان. بهذه الطريقة سوف تجذبه إلى عمل الخير، وتزرع فيه بذور الفضيلة. ويقصد القدّيس اسحق هنا في إرغام ذواتنا على احترام القريب، ليس عن مراءاة بل نُظهر له محبّة حقيقيّة وصادقة.

هناك مظهر آخر أيضًا للتواضع الداخليّ ونسمّيه التواضع الأقصى المعروف «بالتّبالُهِ المقدّس». أي أن يختار المؤمن حياة التباله (**البله**) من أجل المسيح، وأن يتصرّف بإرادته كالمُتَباهِينَ، أو يقترف أعمالًا تستوجب الذمّ واللوم وتستحقّ العقاب، لكي يسبّب لذاته الإهانة والإدانة. هذا النوع يمارسه النسّاك المعروفون بقداسة سيرتهم وفضيلتهم، والذين لم تسنح لهم الفرص والظروف لكي يحظوا ببركة المضايقات والإهانات، فيستترون بقناع التباله. فمنهم مثلًا من ادّعوا الفِسْقَ وهم براء منه. آخرون اتّهموا بالزنى وهم عفيفون أبرياء لا بل كانوا يكونون

سوءًا لم يرتكبوه، طالبين المغفرة من الذين اتّهموهم في حين كانت نفوسهم تتكلّل بإكليل الطهارة والعفّة. آخرون كانوا يخفون فضائلهم تحت ستار العِتْهِ لإبعاد المجد الباطل عنهم، بينما هم في الحقيقة مشبعون بملح الحكمة الإلهيّة، ثابتون دائمًا في حياة الهدوء والصحو حتّى إنّ الملائكة نفسها تبشّر بمآثرهم، وتفرح بانتصاراتهم وبكمال سيرتهم وبهاء فضائلهم. إن لم يمقت الإنسان الإكرام أو يحتقره أو يصبر على الإهانة والهزء والشتم والقساوة ويصير موضع سخرية الجميع أو يُعتبر كمجنون حقًّا لا يقدر أن يثبت في الهدوء ولا أن يتذوّق ثماره.

يطلعنا القدّيس اسحق السوري على بعض ذكريات بداية حياته الرهبانيّة عندما تحدّث مع ناسك معروف بخصوص التّبالُهِ المقدّس، وكيف أخبره هذا الناسك بأنّه قصد يومًا أحد الآباء الشيوخ الفاضلين لكي يعترف بأفكاره، فقال له: إنّني أفكر، يا أبي، بأن أجلس صباح نهار الأحد عند باب الكنيسة وأتناول طعامي لكي يزدري بي الداخلون والخارجون منها. فأجابه الشيخ: لقد كُتب إن الذي يشكّك الناس لن يرى النور، فأنت غير معروف في هذه المنطقة، ولذلك سوف يقولون: «انظروا هؤلاء الرهبان يأكلون في الساعات الأولى من النهار». لقد تصرّف الآباء في الماضي هكذا بسبب العجائب الكثيرة التي اجترحوها، والمجد والشهرة اللذين نالوهما من الناس، فأخذوا يدّعون التّبالُهَ لكي يحصلوا على الاحتقار والتعيير، وبذلك يخفون عظمة فضيلتهم، ويطردون عنهم كلّ أسباب الكبرياء. أمّا أنت فما الذي يدفعك إلى هذا التصرّف؟ ألا تعلم بأنّ كلّ عمل نُسْكِيٍّ له قواعده ووقته المناسب؟ إنّ تصرّفك هذا غير مفيد، بل ستؤذي الآخرين، كونك غير معروف وتحيا حياة عاديّة كباقي الإخوة، فهذه الأمور تخصّ الكاملين فقط، ولا تفيد كلّ الناس. وهكذا حاول الشيخ بتمييزه أن يلطّف من حماس الشاب الناسك، وأن يمنعه من تبنّي تصرّف كهذا يخالف القواعد الرهبانيّة وإن كان الهدف منه هو التقدّم في حياة التواضع.

لَيْسَ ٱلتَّطَاوُلُ رَافِعًا مِنْ جَاهِلٍ
وَكَذَا ٱلتَّوَاضُعُ لَا يَضُرُّ بِعَاقِلِ
لَكِنْ يُزَادُ إِذَا تَوَاضَعَ رِفْعَةً
ثُمَّ ٱلتَّطَاوُلُ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلِ

# النُسْكُ في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

## (١٩) عن الشمامسة والذين يخدمون الأخوة ويعطون كل راهب حسب طقسه (المقرّر له) (اع٢:٤٦ ، ٤:٣٥).

**من صفات الشمامسة:**

✞ – أن يكونوا رُحماء طويلي الروح (صبورين) على كُل واحد.

✞ – لا يأخذون بالوجوه (المحاباة) (يع ٢:١-٩) أو يميلون إلى قومٍ بمحبة جسدانية (عدم التمييز بين الإخوة).

✞ – وان يكونوا بعيدين عن الجِرَان (الخصام والنزاع) وهو ما نهى عنه الرسول بولس: «وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخِصَامَ، فَلَيْسَ لَنَا نَحْنُ عَادَةٌ مِثْلُ هذِهِ، وَلاَ لِكَنَائِسِ اللهِ.» (١كو١١:١٦).

✞ – ولا يعطون بزيادة عما يحتاج البعض (على حساب غيرهم). وهو يدل على محبّة جسدية (للبعض).

✞ – وبهذين الأمرين (التفريط والإفراط) تحدث الفُرْقَة (الانقسام) والشَّك (العثرة) والمقاومة (الثورة)، وتتلاشى من الإخوة الأعمال الصالحة، التي كانت لهم وهم قلبٌ واحد.

✞ – فينبغي أن يخدموا الإخوة بمحبّة كبيرة، حتى لا تلومهم ضمائرهم فيما تهاونوا فيه، بل عليهم أن يُظهروا كل اجتهاد أنَّهم يخدمون الربّ لا الناس، هذا الذي بكثرة صلاحه يقبل الاجتهاد الذي يعمل مع عبيد الله، كأنّه قد عُمِلَ معه (مت ٢٥:٤٠).

✞ – وليتذكّروا قول الربّ: «مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ» (إر٤٨:١٠)، فلا يكسلون في جهادهم (خدمتهم للآخرين)، لأن الذين لا يخدمون باجتهاد (بأمانة) لن يخرجهم الله من ملكوته فحسب، بل يرسلهم أيضًا إلى النار الأبدية.

✞ – ويجب على الخادمين والمخدومين – وكل المسيحيين – أن يضعوا أمامهم إرادة الله (مر٣:٢٥). فإن كنّا معافَيْن (في صحة) أظهرنا عمل المحبة بنشاط، وإن كنَّا مَرْضَى (بالروح) أظهرنا (لغيرنا) طول الروح بفرح، لأن (للاحتمال) أُجرةً ومكافأةً من الله (٢كو٦:١).

✞ – ويقول الرسول بولس في رسالته الى أهل أفسس: «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ.رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ» (اف٤:١-٥).

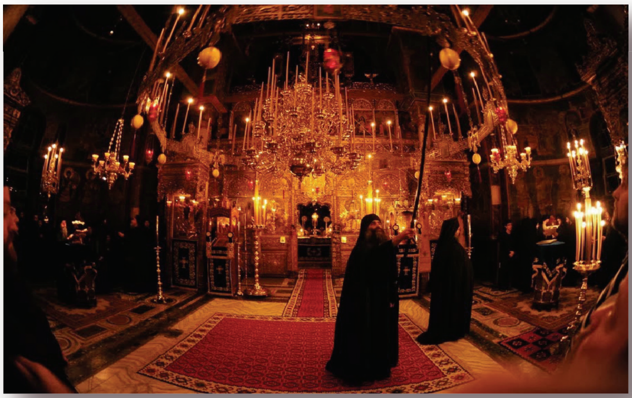

## (٢٠) تجنُّب كثرة مجامع الرهبان في مكان واحد.

✞ – الأخوة المجتمعون معًا، كأعضاء الجسد الواحد، في التقيُّد والتعاضد والتضامن.

**❁ مضار وجود مجامع كثيرة في مكان واحد:**

✞ – حدوث تنافُس ونزاع، يؤثِّر على الزائرين سلبيًّا (يُعثرهم) وعلى المتقدّمين للرهبنة.

✞ – من فوائد وحدة هذه المجامع، من جهة تسهيل الأدوات والمُعدَّات، وتقليل عدد الذاهبين للمدن لقضاء حاجات الأخوة، وما يسبّبه ذلك من عثرة للعلمانيين (وللرهبان).

✞ – وإن المجتمع الواحد، يجب أن يهتم بالآخرين، لاكمال المحبّة.

✞ – يؤدّي التفرُّق إلى عدم ثبات الأخوة، وَتَنَقُّلِهِم من مجمع إلى آخر.

**❁ وَسُئِلَ القديس باسيليوس أيضًا: «هل ينبغي أن تكون هناك مجامع كثيرة حول مدينة واحدة» ؟!:**

✞ – من الصعب أن يُكتَفَى بمجمع واحد في موضع به كثيرٌ من الرهبان.

✞ – وعلى الذي يصير رئيسًا للمجمع أن يكون حكيمًا ومُدَقِّقًا، يُنَفِّذ قبل أن يطلب التنفيذ، ومتكلمًا بمقدار الحاجة بغير نَقصٍ.

✞ – وأن يكون متيقّظ القلب (واعيًا)، رؤوفًا، مُنَفِّذًا أحكام الله (مطيعًا لوصاياه بحب).

✞ – وإذا لم يوجد واحدٌ فيه هذه الصفات كلّها وأمثالها، واتّفق وجود اثنان أو ثلاثة، تجتمع فيهم هذه الصفات، فجيّد أن يشتركوا في هذا النشاط الواحد، وليحمل بعضهم أثقال بعض.

# ما هي اللذّات؟ أيٌّ منها مستحق اللوم وأيٌّ بريء؟

## الشيخ يوسف الفاتوبيذي

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

الشيخ يوسف الفاتوبيذي

دير فاتوبيذي العامر للروم الأرثوذكس في جبل آثوس

اللذات هي تلك الأشياء التي تمنح اللذة (إيذوني ηδονή) وتحلّي حياتنا. إنها مزدوجة مثل طبيعتنا البشرية. كما أنَّ لنا جسدًا ونفسًا وكلٌّ منّا له حواسه وجسده، على المنوال عينه تنتمي اللذات إلى الطبيعتين الجسدية والعقلية. هناك لذات جسدية، نحسّ بها بالجسد، وهناك لذّات عقلية تنتمي إلى عالمنا العقلي والروحي.

اللذات بالأغلب هي نتيجة عملنا، وهي إمّا تُعزّينا أو تُخيِّبنا، بحسب عملنا الصالح أو الخاطئ. إذا كان مخطط تحركاتنا وهدفها بحسب الله وإرادته، فالعواطف واللذات الناتجة تكون مرضِية وتترك طَعمًا حُلوًا. بينما إذا كانت ميولنا وأعمالنا غير عقلانية ومليئة بالأهواء، عندها نشعر بالاشمئزاز والاستنكار.

من جهة أخرى، اللذات التي تَفتننا وتُغرينا هي تلك المُرتبطة بطبيعتنا الجسدية، والموجودة في أعضاء جسدنا وحواسنا. حاسّة الذوق، اللمس والشمّ تأتي في المرتبة الأولى. إن طعم الحلاوة الناتج عن احتكاكنا بالأمور والحركات المادية يُسمّى لذّة. هنا ينبغي أن يمتلك المرء تمييزَ التدبير الصحيح لتلافي سوء الاستعمال. إن جوهرنا المادي يشكّل الجزء الأكبر من وجودنا وهو يقوم على الحواس الثلاث التي من خلالها تتمّ اللذّة وإشباعها.

عندما يتذكّر المرء مصيره، وأنّه يأكل ليعيش، يصير قادرًا على التحكّم باللذات بحسب ناموس الحاجة أو الضرورة. إذا كان، للأسف يعيش ليأكل ويصرف كما هي القاعدة في هذه الأيام، طبيعي أن تسود اللاعقلانية وأخجل حتّى من وصفها.

هناك أيضًا لذّات أخلاقية وحسّية، وهي بشكل رئيسي تلك المتعلّقة بغريزة التوليد وإقامة العلاقات. هنا عندنا متاهة الانحراف الحقيقية، حيث **يفوز الشيطان السحيق بمعظم الجوائز**. إن ناموس وحافز توالدنا، وهو ضرورة أساسية في هذا المنفى، يصير الجاذب الأقوى للتلاقي الجسدي بين الجنسين. من ثمّ تبدأ الذريعة الأقوى من مذهب المتعة غير الشرعية، وهي بالحقيقة مَن يحطّم الشباب العديم الخبرة.

لقد وصفنا باقتضاب أسباب البلوغ إلى اللذة. الآن يتوقّف الأمر علينا في استخدام الحكمة لرفض هذه الأسباب، وكبح أنفسنا عن البكاء على الأطلال بسبب قبولها غير الشرعي واستخدامها. هذه الأسس تشير إلى اللّذات الحسيّة والدنيوية.

إلى هذا، هناك لذّات روحية وهي تريحنا بالحقيقة وتشجعنا. اللذات الروحية هي أفعال وثمار النعمة الإلهية التي تعزّي وتخفّف الأتعاب في المجال الروحي، تنير العقل، تهدئ القلب وتواسي الحواس وتبثّ الشجاعة والرجاء في الأوقات الصعبة. ما هو إذًا الفرح والسلام والصبر والاعتدال، وكل ما يولَد من المحبة والعطف إن لم يكن لذة روحية؟ كل ثمار ومنتجات التضحية التي تصيبها المحبة هي اللذات الروحية الأكثر حلاوة والتي تسبب الفرح الأعظم في حياتنا.

وعلاوة على ذلك، هناك لذّات فائقة الطبيعة يمنحها اللطف الإلهي لنا في هذه الحياة، مع أنها تنتمي إلى ماورائيات العالم الآتي، كتهيئة للنعيم الذي ينتظرنا. هذه اللذات، كونها فوق الطبيعة، نحن لا نتحكّم بها، ولا نخطّط لها في هذا العالم، فما هي إلَّا جوائز المحبة الإلهية الكاملة لِتُقَوِّي وتريح أولئك الذين يجاهدون الجهاد الحَسَن. بعض هذه اللذات: هدوء الأفكار، التحرر من القتال ضد الأهواء، الموت الكامل عن التعلّق بالأمور والحركات الدنيوية كما صعود *ascent* النعمة الإلهية إلى الذين حققوا طهارة القلب. هؤلاء الناس يُقال عنهم أنهم يختبرون الإلهيات وهم يسحبون *extricating* أنفسهم من طرق وخبرات هذا العالم. هؤلاء الناس هم الذين منحهم السيد هدايته وأعلن أن لهم سوف يكشف نفسه وسوف «يسكن فيما بينهم» هو وأبوه. على كل الذين يرغبون بالتمتع بهذه الهبات والفضائل الفائقة الطبيعة أن يجاهدوا في الالتزام بالوصايا. إن ربنا يحفظ وعوده.

# بولس صاحب كمال البركات كلها

للقديس يوحنا الذهبي الفم

## بولس صاحب كمال البركات كلها

جمع الرسول بولس في شخصه كل الكمالات، فقد كان أعظم من **هابيل ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى وداود وإيليا ويوحنا المعمدان والملائكة.**

## نقاوة القلب وأنهار الروح

«يقدم لنا القديس يوحنا الذهبي الفم **شخص الرسول بولس** المجاهد بالنعمة الإلهية لكي يحيا في نقاوة قلب، فتفيض فيه أنهار مياه الروح التي تُحَوِّل القفر إلى فردوسٍ روحي مُفْرِح.»

بحق يمكن للإنسان أن يصف نفس القديس بولس بكونها حاملة بذار الفضيلة وفردوسًا روحيًا. فقد ترعرعت في داخله النعمة بعمقٍ، كما كان دائمًا يُهيِّئ أعماقه لتنمو النعمة فيها وتزدهر. وحين صار إناءً مُختارًا دأب على تنقية نفسه، فاستحق أن ينسكب عليه الروح القدس بفيض. هكذا صار لنا مصدر أنهارٍ كثيرة وعجيبة، ليست فقط الأنهار الأربعة التي نبعت في الفردوس، وإنما أنهار أخرى كثيرة تجري كل يومٍ لكل واحدٍ منا لتروي ليس فقط الأرض، بل نفوس البشر فتجعلها تُنْبِتُ الفضائل.

## كمال كل البركات

أية كلمات يمكن أن تفي وصف صلاح هذا الإنسان حقه؟

أو أي لسان يستطيع أن يَتَغَنَّى بمدائحه؟

كيف نستطيع أن نَنْظُمَ مديحًا في الإنسان حين تتمتع نفسه بكل الفضائل البشرية، بل أقول ما هو أكثر من هذا بالفضائل الملائكية أيضًا؟ لكن لا يُمْكِنُنَا أن نصمت أمام هذا (العجز)، بل يلزمنا أن نتكلم. لأنَّ هذا هو أعظم أعمال المديح، حين تفوق الأعمال البارعة محاولتنا لوصفها مهما كانت بلاغتنا. وإذ تفشل جهودنا نجد ذلك مَرْضِيًّا بالأكثر من تسجيل أي عدد من الأعمال الناجحة.

إذًا أين نبدأ في مديحنا؟ أليس من هذه النقطة، وهي أن بولس صاحب كمال كل البركات. أي امتياز نراه جليًا في الأنبياء أو البطاركة أو الصالحين أو الرسل أو الشهداء نجده أكثر غزارة في بولس بطريقة فائقة.

## بين ذبيحة بولس الرسول وذبيحة هابيل

لاحظ هذا. تقول: إن **هابيل** قدم ذبيحة مقبولة (تك ٤:٤)، بهذا كان متميزًا. لكن إن اختبرنا ذبيحة بولس نجدها تفوق تلك التي لهابيل كما تعلو السموات عن الأرض. تسأل ماذا أعني؟ ببساطة قَدَّمَ بولس ذاته ذبيحة يومية كاملة، وكانت تقدمته مضاعفة:

**أولًا:** كان يموت كل يومٍ (١ كو١٥: ٣١).

**ثانيًا:** كان يحمل في جسده إماتة يسوع على الدوام (٢كو ٤: ١٠)، إذ كان دائمًا يواجه أخطارًا، وكان راغبًا في الاستشهاد، بإماتة جسده صار بالفعل تقدمة ذبيحيَّة، بل وبالحق أكثر من ذبيحة! لأنه لم يقدم ذبيحة غنمٍ أو ماشيةٍ، بل تقدمة جسده ودمه كذبيحة يومية مضاعفة. لهذا تجاسر فقال: «فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا» (٢تيمو٤: ٦)، داعيًا دمه تقدمة.

لم تَكْفِهِ هذه التقدمات، فبعد أن قَدَّمَ نفسه بالكامل قُربانًا أراد تقديم العالم كله قربانًا: الأرض والبحر، اليونانيين والبرابرة، كل أرض تُطَوِّقُها السماء، هذه الأرض التي وطأتها قدماه، كأنه كائن ذو جناحين وليس مجرد رَحَّالة! لقد نزع أشواك الخطيئة التي في الطريق، وزرع كلمة الدين في كل مكان. انتزع الخطأ، وأعاد الحق. جعل البشر ملائكة بل بالأكثر غيَّر البشر من شياطين إلى ملائكة. وإذ كان مُزْمِعًا أن يُلْقِي وراءه الصعاب والحرب التي لا تطاقُ قال لتلاميذه مُعزِّيًا: «لكِنَّنِي وَإِنْ كُنْتُ أَنْسَكِبُ أَيْضًا عَلَى ذَبِيحَةِ إِيمَانِكُمْ وَخِدْمَتِهِ، أُسَرُّ وَأَفْرَحُ مَعَكُمْ أَجْمَعِينَ. وَبِهذَا عَيْنِهِ كُونُوا أَنْتُمْ مَسْرُورِينَ أَيْضًا وَافْرَحُوا مَعِي.» (في ٢: ١٧– ١٨).

أية ذبيحة إذًا تعادل هذه الذبيحة التي قدمها بولس، مُقَدِّمًا إيَّاها قُربانًا بسيف الروح، وتقدمة على مذبحٍ عالٍ فوق السماوات؟!

تقول إن هابيل قد طُرِح إلى أسفل وذُبح بيد أخيه الغادرة (تك ٤: ٨)، هذا قد ضاعف من عظمته. لكنني أُحْصِي (لبولس) ميتات لا تُعَدُّ، وَمَوْتًا في كل يوم، أعلمنا بها بولس.

إن أردت أن تعلم شيئًا عن الذبيحة التي تبلغ أقصى الحدود تجد هابيل الذي ذُبح بيد أخيه بلا سبب، ولم يَجْنِ **قايين** أية منفعة من ذلك؛ وبولس أيضًا قُتل بيد من أنقذهم مرارًا من كل شرٍّ، والذين من

أجلهم احتمل كل أنواع العذاب.

## فُلْكُ بولس وفُلْكُ نوح

﴿يرى القديس يوحنا الذهبي الفم في **الرسول بولس** كقائد لِفُلْكٍ يطوف العالم كله لكي يحمل البشرية لا إلى جبل أراراط بل إلى السماء. لقد فتح نوح أبواب الفُلْك للحيوانات، أما فُلك بولس فيُحَوِّل الداخلين من الطبيعة الحيوانية إلى الطبيعة الملائكية.﴾

تقول كان نوح إنسانًا بارًا وكاملًا في جيله (تك ٦:٨-٩)، وفريدًا بين جنس البشر، لكن بولس كان بالحق فريدًا.

أنقذ نوح نفسه وبنيه فقط، أما بولس فلم ينقذ أثنين أو ثلاثة أو خمسة من ذويه حين اجتاح الأرض طُوْفَانٌ، بل أنقذ العالم كله من تحطيم السفينة المُحدِق، وذلك ليس بوضع ألواح خشبية جنبًا إلى جنب لصنع فُلكٍ، وإنما بالعمل على ألواحٍ (قلبية) عِوَضَ ألواح الخشب. لم يكن فُلْكُهُ محمولًا إلى موضعٍ واحدٍ، بل مُمتدًا إلى أقاصي الأرض، فيه حمل كل الشعوب إلى يومنا هذا. فقد صنعه كي يضم فيه الجماعة لتخلص، يلحق به من هُمْ أكثر غباوة من الحيوانات العجماوات، ويجعلهم يتمثلون بالقوات العلوية. هذا يثبت سموَّ فُلْكِهِ.

استقبل نوح **غرابًا** (تك٦:٨) **وذئبًا** لكنه لم يغير طبيعتهما المتوحشة. أما بولس فمن الجانب الآخر حوَّل الذئاب إلى حملان، والصقور إلى حمائم! حوَّل طبيعة الإنسان غير العاقلة المتوحشة إلى رقة الروح، ولا يزال فُلكه باقيًا لم يتحطم. لم تُزَعْزِعْ عاصفة الشرّ ألواحه الخشبية، بل تغلبت ألواحه على العاصفة وأعادت الهدوء، لِمَ لا؟ فإن ألواحه لم تُدهن بالقار والحمر (تك٦:١٤؛ خر٢:٣) بل بالروح القدس.

## بين جهاد بولس وجهاد إبراهيم

﴿يقارن القديس يوحنا الذهبي الفم بين الرسول بولس وأبينا إبراهيم حاسبًا الأول أعظم من جهة:

١- الترك... ترك حتى الاشتياق إلى السماء من أجل حبه للسيد المسيح.

٢- إنقاذ للغير من أيدي الشياطين.

٣- تقديم نفسه ذبيحة حب لله.﴾

تقول إن كل البشر يعظمون إبراهيم لأنه ترك بيته وبيت أبيه وأقرباءه حين سمع الوصية:«وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ.» (تك١٢:١). لقد أمره الله بهذا، وكان هذا يعني كل شيء بالنسبة له. حقًا فإننا نحن أيضًا نعجب منه. لكن هل هذا يجعله مثل بولس؟ لم يترك بولس بيته وبيت أبيه وذويه فحسب، بل ترك العالم ذاته لأجل يسوع، بل بالأكثر أقول ترك السماء ذاتها. لم تشغل سماء السماوات قلبه، إذ كان هدفه الوحيد هو حب يسوع. لنسمع كلماته الواضحة في هذا الصدد: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رو ٨:٣٨-٣٩).

تقول إن إبراهيم واجه أخطارًا لينقذ ابن أخيه من البرابرة (تك ١٢:٥)، أما بولس فلم ينقذ ابن أخيه فحسب ولا ثلاث مُدنٍ أو أربعًا، بل أنقذ العالم كله، لا من البرابرة فحسب، بل من أيدى الشيطان نفسه، محتملًا كل يوم أخطارًا لا تُحصى، وبميتات كثيرة تمم خلاص آخرين.

تقول إن تقديم ابنه ذبيحة كان تاج الصلاح وإكليل الفلسفة. هنا نجد بولس أيضا في المقدمة، لأنه لم يقدم ابنه ذبيحة بل قدم ذاته مرارًا ومرارًا كما قلت.

## بين بولس واسحق في حب المقاومين

يُعْجَب الناس من اسحق في أمور كثيرة، خاصة صبره. فقد حفر آبارًا (تك٢٦:١٨)، وحين نُزعت عنه أملاكه لم يتشاجر بل سمح بردم آباره، وكان دائم الترحال من مكانٍ إلى آخر. لم يحشد قواته ضد العدوّ بل كان يرحل تاركًا وراءه ممتلكاته حتى يشبع عدوه رغبته في الظلم. أما بولس فحين رأى ليس آباره تُردم بالتراب بل جسده يُرجم بالحجارة، لم يرحل من مكانه كما فعل هذا الرجل بل جرى وراء راجميه وجاهد حتى يقودهم إلى السماء. كلما سُدت الآبار فجَّر بالأكثر فيه أنهار الاحتمال.

## بين بولس ويعقوب في حياة الجهاد

تقول: نجد في الكتاب إعجابًا بيعقوب بن اسحق وذلك لِقُوَّتِهِ (تك ٣٢:٢٨). لكن أية نفس، مهما بلغت صلابتها، تعادل قُوَّة احتمال بولس؟!لقد احتمل العبودية ليس فقط لمدة **١٤ عامًا** (تك ١٨:٢٩-٢٧) بل كل أيام حياته من أجل عروس المسيح. احتمل ليس حرّ ٱلنهار وبرد ٱلليل فحسب، بل عواصف من التجارب لا تُحصى، من جَلْدٍ وَرَجْمٍ، ومصارعة وحوشٍ مفترسة، وأخطارٍ في البحر وأصوامٍ متواصلة نهارًا وليلًا، وعُرْيٍ وأخطارٍ في كل موضع (٢كو ١١:٢٣ الخ) حتى يتفادى الشِّبَاك ويخطف الحملان من بين **أنياب الشيطان**.

## بين بولس ويوسف في العفة

تقول: امتاز يوسف بضبط النفس (تك١٩). أخشى أن يكون من

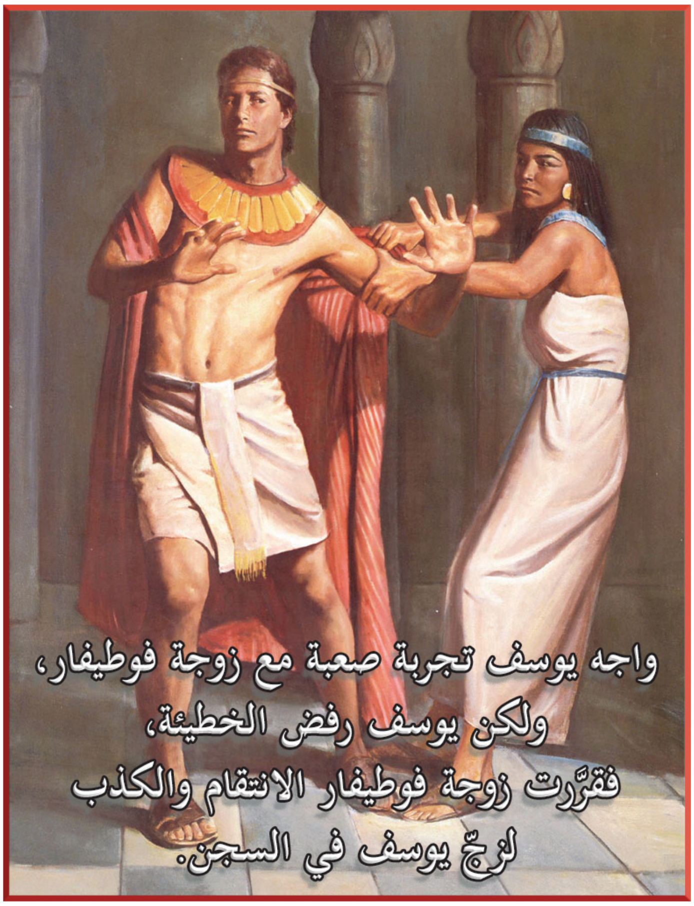


السخرية أن نمدح بولس بهذا الأمر. بولس الذي صُلب للعالم (غلا ١٤:١٦) والذي حُسِبَ ليس فقط جمال الجسد بل كل شيء ترابًا ورمادًا، لم يهتزّ لشيء، فكان كَجُثَّةٍ تلتقي بجثةٍ، كان يخمد شهوات الجسد، ولم يخضع قط لأية شهوة منها.

## بين بولس وأيوب المجرب

۞يقارن بين القديس بولس وأيوب البار من جهة:

١– مواجهة تجارب بلا حصر.

٢– كرم الضيافة جسديًا وروحيًا.

٣– احتمال الآلام.۞

تقول: يُعجب كل بشرٍ بأيوب، وهو بحق يستحق ذلك فإنه حارب في معركة عظمى، ويمكن أن يقف في مقارنة مع بولس في صبره، وفي طهارة حياته، وشهادته لله، وصراعه الشجاع مع **الشيطان**، ونصرته التي أنهى بها صراعه. لكن صراع بولس استمر ليس بضعة أشهر فحسب بل سنوات طويلة. كان دائمًا يندفع في فم الأسد، ويصارع في مواجهة تجاربٍ بلا عدد، مثبتًا أنه أقوى من أية صخرة. لم يلعنه ثلاثة من الأصدقاء أو أربعة بل كل الاخوة الكذبة الخائنين، أفتري عليه، تُفِلَ عليه وُشتم.

كان كرم ضيافة أيوب عظيمًا، كذلك اعتناؤه بالفقراء. هذا لا ننكره، لكن سرعان ما يسقط هذا أمام بولس، كما يسقط الجسد أمام النفس. اعتنى أيوب بالمرضى جسديًا، واعتنى بولس أيضًا بالمرضى روحيًا. ففي وقتٍ قاد من هم عُرج ومُقعدون روحيًا، وفي وقت آخر كسى الأعرَاء بثوب الفلسفة (الحكمة).

كان لأيوب الباب المفتوح أمام الزائرين الذين استضافهم في بيته، أما بولس فكان له القلب المفتوح ليسع العالم كله، إتسم كرم ضيافته بالمسكونية. هذا دفعه للقول: «لَسْتُمْ مُتَضَيِّقِينَ فِينَا بَلْ مُتَضَيِّقِينَ فِي أَحْشَائِكُمْ.» (٢ كو١٢:٦).

كان أيوب سَخِيًّا مع المحتاجين في العطاء من غناه وكثرة مواشيه، أما بولس فلم يكن يملك سوى جسده الذي استخدمه في خدمة المحتاجين ورعايتهم كقوله: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ.» (أع ٣٤:٢٠).

تقول إن الدود والجراحات قد أصابت أيوب بآلامٍ حادة غير محتملة. هذا حقٌّ، لكن لنأخذ في اعتبارنا الجلدات التي تحملها بولس عبر السنين، والصوم المستمر، والعُرْيَ، والقيود، والسجن، والمخاطر، والمكائد من أهل بيته ومن الذين هم في الخارج من الطغاة ومن العالم كله. أضف إلى ذلك خبراته المرة، أي الآلام التي عانى منها من أجل الساقطين، واهتمامه بكل الكنائس، والافتراءات التي تحملتها نفسه بشجاعة وصلابة تفوق الحديد والصخر الذي لا يُكسر. احتمل بولس روحيًا ما تألَّمَ به أيوب جسديًا. نعم، فقد احتمل حُزنًا أمرَّ من أي دودٍ يقرض في نفسه من أجل الساقطين. كانت ينابيع دموعه تنهمر نهارًا وليلًا، يتألم من أجل كل نفسٍ أكثر من آلام امرأة في حالة مخاضٍ، هذا قاده للقول: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ.» (غلا ١٩:٤).

۞حمل **القديس يوحنا الذهبي الفم** نفس الروح إذ يقول لشعبه: إن كان يلزم للإنسان أن يحب أولاده الجسديين حتى يُدعى أبًا حسب الطبيعة، فكم بالأكثر يليق بالإنسان أن يحب أولاده حسب النعمة، الروحيين المُعَمَّدينَ، حتى لا يهلكوا في جهنم؟!

إني أب مملوء حنوًا... كل أمٍ تصرخ وهي تتمخض في ساعة الولادة، هكذا أفعل أنا أيضًا!

ليس شيء أحب إليَّ أكثر منكم. لا ولا حتى النور!

إني أَوَدُّ أن أقَدِّمَ بكل سرور عيني ربوات المرات وأكثر – إن امكن – من أجل توبة نفوسكم!

عزيزٌ عليَّ جدًا خلاصكم، أكثر من النور نفسه!...

لأنه ماذا تفيدني أشعة الشمس إنْ أَظلَمَ الحزنُ عَيْنَيَّ بسببكم؟!...

إني أحبكم، حتى أذوب فيكم، وتكونون لي كل شيء، أبي وأمي واخوتي وأولادي!۞

## بولس وأنبياء العهد القديم

من تَذكر بعد أيوب يستحق الإعجاب؟ موسى بلا شك! لكن بولس فاقه بمراحل. بين إنجازات موسى العظيمة والكثيرة تتويجه بالمجد حين اختار أن يُمحى اسمه من سفر الحياة من أجل خلاص اليهود (خر ٣٢:٣٢)، لكنه اختار أن يهلك مع الآخرين، أما بولس فاختار أن يكون محرومًا من المجد الأبدي من أجل خلاص الآخرين دون إشراك أحد آخر معه في هلاكه.

صارع موسى **فرعون**، وأما بولس فصارع **الشيطان** يوميًا.

حارب موسى في سباقٍ واحدٍ، أما بولس فحارب من أجل العالم لم

كله في صراع ليس بٱلعَرَقِ، بل بالدم الذي أُريق في كل موضع. لقد قاد الجميع إلى الخلاص، الذين في أماكن آهلة وغير آهلة، قاد اليونانيين والبرابرة.

أستطيع أيضًا أن أتكلم عن يشوع وصموئيل والأنبياء الآخرين، ولكي لا تخرج العظة عن الحدود اكتفي باجراء مقارنة مع نخبة ممن هم أشهر. إذا كان بولس يفوق الفائقين منهم، فيكون الشك قليلًا من جهة الآخرين. من منهم يكون اشهر؟! من نذكر من هؤلاء غير داود وإيليا ويوحنا؟! كان إيليا منهم نذيرًا لمجيء المسيح الأول (ملا ٤:٥) ويوحنا المعمدان للمجيء الثاني (مت٣:١١). هذا يوضح سبب ذكر اسميهما معًا.

ما أبرع ما اتصف به داود؟! بلا شك تواضعه وحبه لله. حقًا من تَفَوَّقَ في هاتين الصفتين مثل بولس الذي اتسمت بهما نفسه؟!

ما هو عجيب بالنسبة لإيليا؟ إنه أغلق السماء، وَسَبَّبَ قحطًا، وانزل نارًا من السماء (١مل ١٧:١؛ ٢مل١:١٢)! لست أظن ذلك! بل بالأحرى كان يغار للرب. كان ملتهبًا بالحماس. لكن إذا اخْتَبَرْتَ حماسَ بولس تجده فائقًا كتفوقه على بقية الأنبياء. أي حماسٍ يعادل كلماته عن مجد الله:«فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو٩:٣).لذلك حينما قدمت له السماء الأكاليل أَجَّلَ وَمَدَّ الوقت، قائلًا: «وَلكِنْ أَنْ أَبْقَى فِي الْجَسَدِ أَلْزَمُ مِنْ أَجْلِكُمْ.» (في٢٤:١). لذلك اعتبر أن العالم المنظور الملموس غير كافٍ لإشباع حبه وغيرته، بل أراد عالمًا آخر غير منظور ليمارس ما يودُّه ويتمناه.

تقول: أكل يوحنا المعمدان جرادًا وعسلًا بَرِّيًا (مت٣:٤)، أمّا بولس فمع أنه عاش في العالم ولم يسكن البَرِّيَة ولم يأكل جرادًا ولا عسلًا بَرِّيًا لكنه كان مكتفيًا بمائدة أكثر بساطة ونسكًا، متجاهلًا حتى الضرورات من أجل غيرته للكرازة.

تقول: أظهر يوحنا شجاعة عظيمة أمام **هيرودس**، أما بولس فلم ينتهر واحدًا أو اثنين أو ثلاثة فقط، بل عددًا لا يُحصى من ذات هذه العيِّنة. لقد واجه بالحق **طغاة أسوأ بكثير من هيرودس**.

## بين بولس الرسول والملائكة

يبقى لنا أن نقارن بولس بالملائكة. لنترك الأرض ونصعد إلى أبواب السماء. لا يَقُلْ أحد إن كلماتنا تحمل جسارة فائقة إن كان الكتاب المقدس يدعو يوحنا المعمدان ملاكًا وأيضًا الكهنة، فلماذا تتعجب حين نقول إن بولس يستحق أن يُدعى هكذا لِتَفَوُّقِهِ في هذه الفضائل؟!

ما هو سبب عظمة الملائكة؟ طاعتهم لله، هذا ما أعجب داود فيهم: «أقوياء في الفضيلة، يطيعون كلمته» (مز ١٠٢:٢٠). لكن طاعة بولس لا تُقارَنُ حتى بالكثير من الكائنات غير المتجسدين. ما يجعلهم مباركين هو طاعتهم لوصية الله ورفضهم التام لعصيانه. هذا ما فعله بولس بإخلاص تامٍ. لقد تمَّم كلمة الله ووصاياه أيضًا. ليس فقط وصاياه، بل ما هو أكثر، كما أفصح قائلًا: «إِذْ وَأَنَا أُبَشِّرُ أَجْعَلُ إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ بِلاَ نَفَقَةٍ» (١كو٩:١٨).

ماذا يرى النبي في الملائكة ما يستحق الإعجاب؟ «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً» (مز ١٠٣:٤). هذا أيضا نراه في بولس، كنارٍ وريحٍ عبر الأرض طولًا وعرضًا ونقًّاها في ترحاله.

هذا ما يجعل الأمر مميزًا بالأكثر، بينما كان بولس على الأرض في الجسد الفاني أظهر مثل هذه الشجاعة وهزم **القوات غير المنظورة**.

كم نُحسب في لومٍ إذًا إن لم نجاهد متمثلين بمثل هذا الإنسان على وجه الخصوص الذي اجتمعت فيه كل الصفات الجليلة في إنسانٍ واحدٍ.

لنفكر مليًا في هذه الاعتبارات، فنكون بلا لومٍ.

لنجاهد لكي تكون لنا مثل غيرته، فنشاركه ذات البركات بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته الحانية، الذي له المجد والقوة، الآن وكل أوانٍ، آمين.

## إيَّـــاك

**إيّاك** أن تنظر بٱحتقار لإنسان يشكو من عاهة جسديّة، نَظَرُهُ ضعيفٌ أو مشلولٌ أو بيدٍ واحدةٍ أو برجلٍ واحدةٍ ... على العكس، يجب أن تقدّم له المعونة كٱبن صالح **للربّ يسوع**، ولأنّه هو أحد أعضاء جسد المسيح الذي تشاركه أنت الدمَ والجسدَ الإلهيَّيْن.

إن صادفت أعمى يعبر الشارع، حاول أن تساعده، إن تعرّض لخطر السيّارات أو لأيّة مساعدة يحتاج إليها.

كن مثل ربّنا الذي كان يصنع الخير مع الجميع من دون تمييز، وشجّع رفاقك وإخوتك، أيضًا، على عمل الخير لكي تسود المحبّة والسلام، لأنّ إلهنا إله المحبّة والسلام.

## أشدُّ الجِهَادِ جِهَادُ الهوى

أَشَدُّ ٱلْجِهَادِ جِهَادُ ٱلْهَوَى ... وَمَا كَرَّمَ ٱلْمَرْءَ إِلَّا ٱلتُّقَى
وأخْلاَقُ ذِي ٱلفَضْلِ مَعْرُوفَةٌ ... بِبَذْلِ ٱلْجَمِيلِ وَكَفِّ ٱلْأَذَى
وكُلُّ ٱلْفُكَاهَاتِ مَمْلُولَةٌ ... وَطُولُ ٱلتَّعَاشُرِ فِيهِ ٱلْقِلَى
وَكُلُّ طَرِيفٍ لَهُ لَذَّةٌ ... وَكُلُّ تَلِيدٍ سَرِيعُ ٱلْبِلَى
وَلَا شَيْءَ إِلَّا لَهُ آفَةٌ ... وَلَا شَيْءَ إِلَّا لَهُ مُنْتَهَى
وَلَيسَ ٱلْغِنَى نَشَبٌ فِي يَدٍ ... وَلكِنْ غِنَى ٱلنَّفْسِ كُلُّ ٱلْغِنَى
وإنَّا لَفِي صُنْعِ ظَاهِرٍ ... يَدُلُّ عَلَى صَانِعٍ لَا يُرَى

الفُكَاهاتِ : فَكِهًا، وفكاهة: كان طيِّب النفس مَزَّاحًا
القِلَى: البُغْضُ ، الحِقْدُ ... نشبٌ: المال

لأبي العتاهية

# الأرثوذكسية: نظرية أم علاج؟

الميتروبوليت
إيروثيوس فلاخوس

عِلْمُ اللاهوت الأرثوذكسي هو صوت وكلمة الكنيسة الأرثوذكسية. ليس علم اللاهوت الأرثوذكسي ولا الكنيسة الأرثوذكسية نظريات، ولكنهما وسائط للشفاء. بمعنى أن الكنيسة هي مستشفى روحي، وعلم اللاهوت الأرثوذكسي، الذي هو الإعلان عن الله ومعرفته، يعرف كيف يشفي الناس.

## ١ – ما هي الأرثوذكسية؟

لكلمة «أرثوذكسية» معنيان: **العقيدة المستقيمة عن الله وكل الحقائق الخاصة بالإنسان وخلاصه، والتسبيح المستقيم لله الثالوث القدوس**. هذان المعنيان مرتبطان ببعضهما بشدة. فلكي نستطيع أن نُنْشِدَ تسابيح الرب ينبغي علينا أن نعرف من هو الله. فمثلًا لو كان لدينا انطباعٌ أن الله ليس مثلث الأقانيم ولكنه **فكرة مجرَّدة، أو قوة خفية تحكم كل شيء**، لَكُنَّا عندئذ نقدم العبادة لهذا الإله المجرّد. وحيث أن هذا الإله المجرد غير موجود في الواقع، تكون عبادته أيضًا تجريدية وغير شخصية. يقرّ **القديس يوحنا الدمشقي** في إحدى عظاته عن **التجلي** حقيقة أن الأرثوذكسيين هم فقط الذين يحتفلون بالأعياد ويحافظون عليها، لأن الأعياد ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة الحقيقية. «من لديه الأعياد والاحتفالات؟ من لديه البهجة والتهليل سوى أولئك الذين يخافون الرب ويعبدون الثالوث؟». يستطرد القديس مؤكدًا: «إن كل السعادة البهيجة والفرح هما لنا (كمسيحيين أرثوذكسيين). لقد صنع الله الأعياد من أجلنا، فهي ليست من أجل أن يتمتع بها غير المؤمنين». ينتمي فرح وبهجة الأعياد للمسيحيين، الذين هم مؤمنون بحق، وليس لغير المؤمنين.

حيث أن عبادة الله ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة عن الله، بذل الآباء القديسون مجهودًا كبيرًا لكي يحافظوا على الإيمان. عندما يُشَوَّه الإيمان، يُشَوَّه الخلاص أيضًا. عندما يُفسد الإيمان، **تفسد أيضًا المحبة والرجاء وكل الفضائل الإنجيلية الأخرى**. يرى **القديس مكسيموس المعترف** أن الإيمان بالمسيح يُوَلِّدُ المخافة، والمخافة تُوَلِّدُ ضبط النفس، وضبط النفس الكامل يؤدي إلى الفضائل مثل الرجاء والصبر والاحتمال. يولد الرجاء بالرَّب اللاهوى، ومن اللاهوى يُوْلَدُ الحب. من الواضح من ذلك أنه عندما يتأثر الإيمان تتأثر على الفور باقي الفضائل أيضًا، وعندئذ يصبح الإنسان غير قادر على اكتساب اللاهوى الحقيقي والحب الأصيل. يحث القديس مكسيموس قائلًا: «فلنحفظ العلاج الأول الأعظم لخلاصنا الذي هو **ميراث الإيمان الصالح**». الذي لديه إيمان مطلق بالمسيح «يمتلك مجموع كل مواهب النعمة الإلهية» كما يقول القديس مكسيموس. بالطبع ليس أن يكون المرء أرثوذكسيًا تقيًّا مؤمنًا هو مجرد كلمات، ولكنه طريقة حياة. يقول **القديس غريغوريوس اللاهوتي**: «لا تَكْمُن تقوانا في كلماتنا ولكن في أعمالنا». يعطينا الثبات في الإيمان الأرثوذكسي إمكانية الخلاص.

بمعنى أشمل، نستطيع أن نقول أن وصايا المسيح تُظهر لنا طريق الحياة الطبيعي الكامل. عندما يصف الطبيب العلاج يكون في ذهنه تصورًا عن شخص سليم تمامًا، ويهدف إلى قيادة الشخص لهذه الحالة، هكذا أيضًا تعمل وصايا المسيح بنفس الطريقة. يرينا الإيمان الأرثوذكسي المنهج، منهج الشفاء، بحيث نصل إلى الصحة الروحية ونعبد الله بحق. عندما يُشَوَّه الإيمان، تُشَوَّهُ أيضًا وسائط وطرق العلاج. نستطيع ملاحظة ذلك في **الطوائف المسيحية الأخرى وفي الديانات الأخرى**.

يَكْمُن الفرق الرئيسي بين **الأرثوذكسية والطوائف والديانات الأخرى** في كيفية شفاء الناس. لدى **الأرثوذكسية** نظام علاجي متكامل. فهي تدرك حالة الشخص الصحيَّة، وترى جراحاته بوضوح

وتوصي بالطريقة المُثلى للعلاج. عندما يتغير الإيمان، يتغير أيضًا العلاج المقدَّم للناس. ولأنهم لا يستطيعون أن يحصلوا على الشفاء فإنهم لا يقدرون على الدخول في علاقة حقيقية مع الله وفي شركة معه.

## ٢- الآباء القديسون

يشير الآباء القديسون إلى هذا النظام العلاجي ويصفونه. لقد جاهدوا للحفاظ على الإيمان لكي يحافظوا على منهج العلاج هذا، الذي هو المنهج الذي يحقق به الإنسان الشركة مع الله. وفي رأيي الشخصي، تكمن هنا القيمة الحقيقية للأدب الآبائي.

كان الشعار السائد من عدة سنوات مضت هو **«عودة إلى الآباء!»**. لأننا فشلنا بمنطقنا البشري الخاص، أدركنا أنه ينبغي علينا أن نعود للآباء القديسين. إلَّا أنه مؤخرًا وُجِدَت تحفظات على هذا التوجه بحجة أنه قد يمثل نوعًا من العودة للماضي، وهكذا تم وضع شعار آخر وهو: **«إلى الأمام مع الآباء!»**. مع ذلك، حتى هذا الشعار لا ينقل بصورة مطلقة حقيقة الكنيسة. شعار **«عودة إلى الآباء!»** غير صحيح لأن الآباء هم أبناء الكنيسة الذين وصلوا للاستنارة والاتحاد بالله، وبالتالي كانوا قادرين على تجسيد خبرة الكنيسة. تلد الكنيسة الآباء وتجعلهم على ما هم عليه؛ وليس الآباء هم الذين يصنعون الكنيسة. يوجد أناس اليوم وصلوا للاستنارة والاتحاد بالله ويستطيعون التكلم عن مسائل تخص مُعَاصرينا. كل حقبة آبائية هي حقبة للكنيسة؛ أو بتعبير أدق، هي تمثل حياة الكنيسة. أما بالنسبة لشعار:**«إلى الأمام مع الآباء!»** فهو ربما يشير لكبرياء الإنسان وخطورة تفسير الآباء بواسطة معلقين ضالين، يختزلون لاهوت الآباء وحياتهم إلى تأمل عقلي وارتجال. خطة العمل السليمة هي طاعة الآباء المتحدين بالله العائشين اليوم، الذين هم حاملون حقيقيُّون لحقيقة الإعلان المحفوظ في الكنيسة.

**مع الأسف**، نشهد في هذه الأيام تحوُّل الأرثوذكسية إلى نظريات. فالحقائق الهامة عن الحياة تحولت إلى مجرد أفكار بين أفكار أخرى كثيرة، وتُقدَّم المسيحية كفشل غير فعال وضعيف جدًا لكي يستجيب لمتطلبات عصرنا. يمقت العامة من الأرثوذكس، الذين يتلقون الأمور بطريقة أرثوذكسية، هذه المحاولة لاختزال الأرثوذكسية إلى نظريات غير مرتبطة بالحياة.

لا يرى العديد من الناس الآباء كأناس أحياء ولكن كمعروضات في متحف، لدرجة أنهم يدرسون الآباء ويقتربون منهم بطريقة عاطفية أو عقلية. حتى أولئك الذين لهم ذهن وطريقة حياة غربية، مازالوا يدرسون الآباء. إلَّا أنه كما أكد المسيح: «وَلاَ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاق عَتِيقَةٍ، لِئَلاَّ تَنْشَقَّ الزِّقَاقُ، فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاق جَدِيدَةٍ فَتُحْفَظُ جَمِيعًا». (مت١٧:٩). ينبغي على طريقة تفكير المرء أن تتغير تمامًا لو أراد أن يتذوق خمر المسيحية الجديد. هذا التغيير يسمى **توبة**. لا يستطيع من له ذهن منطقي أو توجه عاطفي، الذي أعماله غير أرثوذكسية، أو ممارساته مضادة للكنيسة أن يحصل على «روح» الآباء القديسين. تطهرنا التوبة العميقة غير السطحية من كل شيء عتيق، وتنقذنا من فساد الحياة الساقطة، ومن كل ضلالات الإنسانية الساقطة.

ينبغي علينا أن ننظر للكتابات الآبائية وللعهد الجديد على أنها نصوص علاجية تشفي الناس. ولكن لننظر لها أيضًا على أنها ثمرة للشفاء، وليس كفرصة لإعطاء انطباع لاستثمار أحدث صيحة وتوجُّه. سوف يجعلنا تحوُّلنا داخل الكنيسة الأرثوذكسية أرثوذكسيين في كل من الإيمان والحياة. إنه سوف يشفينا بحيث نصبح قادرين على تقديم عبادة حقيقية لله.

**صبغة:** قال الرب يسوع : «وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟» (لو١٢: ١٢) ، **والكلمة اليونانية المترجمة «صبغة» في جميع هذه المواضع هي نفسها الكلمة المترجمة «معمودية» في سائر المواضع، فهو يشير إلى معمودية الآلام التى جاز فيها إذ كانت محبته للآب ومحبته لنا، تحصرانه حتى يتمم عمله.**

«حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا:«مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ:«قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ:«لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟» قَالاَ لَهُ:«نَسْتَطِيعُ».فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي» (مت ٢٠ : ٢٠-٢٣، مرقس ١٠ : ٣٥- ٤٠). **فمن آمتياز المؤمنين الان أن يصطبغوا بهذه الصبغة من الآلام** «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ.» (في١: ٢٩) **وكان الرسول بولس يشتهي أن يزداد في معرفة الرب يسوع لكي:**«أَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ» (في ٣: ١٠).

«وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.» (فيلبي ٢:٨)

# مجيء المسيح الدجّال

## للقدّيس إغناطيوس بريانتشانينوف*

نقلها إلى العربية
راهبات دير مار يعقوب الفارسي المقطع، دده – الكورة

إنّنا نقترب، شيئًا فشيئًا، من الوقت الذي سيبدأ فيه ظهور عجائب مدهشة ومذهلة بقصد جرّ الناس البائسين إلى الهلاك، أولئك الذين يرون الأمور من منظار بشريّ، فيُجذَبون بتلك المظاهر العجائبيّة ويهلكون بها.

نعم، سيأتي **المسيح الدجّال**، ولكن كيف يجب أن نواجه حضوره؟

**١) بالإيمان الحيّ الحارّ:** يولد الإيمان الحيّ بالمسيح يسوع داخلنا كلّما تغذّت نفوسنا بكلمة الله، فالإيمان واسطة به نرى الله: «بِالإِيمَانِ تَرَكَ مِصْرَ (موسى) غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ غَضَبِ الْمَلِكِ،لأَنَّهُ تَشَدَّدَ، كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى.» (عبر ١١: ٢٧). فعندما تنتعش نفوسنا بالإيمان الحيّ نستطيع، عندئذ أن ندرك شيئًا من العقائد الإلهيّة البعيدة المنال عن أفهامنا، فلا تبقى مخفيّة تحت حجاب كثيف لا يمكن خَرْقُهُ.

لا يحتاج الإيمان الحيّ، البتّة، إلى علامات تؤيّده، لأنّه هو عينه مليء بعجائب المسيح. والحقيقة إنّ المسيح، كلمة الله، الذي هو، بحدّ ذاته، المعجزة الكبرى التي كلّلت معجزاته كلّها. إنّ الرغبة التي تحدونا لرؤية العجائب ما هي إلّا دليلٌ على عدم إيماننا، ولذلك أُعطيت لنا العلامات لكي نتحوّل بواسطتها إلى الإيمان. ولذلك، أيضًا، علينا الالتصاق بالربّ بكلّ ما أوتينا من قوّة، والاتّحاد به من دون أدنى انقسام داخليّ، وعند ذلك لا تقوى علامات **ضدّ المسيح** أن تجذب انتباهنا إليها على الإطلاق. والأمر الأهمّ هو إبداء لامبالاتنا، إن لم نقل ازدراءنا، لهذه العلامات، تمامًا كما نفعل عندما يصادفنا عمل وقح مشين، أو عمل يضادّ وصايا الله، أو قول تجديف على القُدُسات، أو أيّ عمل أو قول آخر يسبب لنا **الموت الروحي**.

ودعونا نتذكّر في هذا المجال أقوال آبائنا النسّاك النابعة من خبرتهم الروحيّة العميقة بأنّ **ظهور الشياطين** لها تأثيرات قويّة، حتّى إنّ أقلّ اهتمام بها، أو عدم ضبط النفس أمامها، كفيل بإحداث ضرر كبير في النفس إذ تثيرها وتهيّجها وتوقع الإنسان في تجارب صعبة.

**٢) بالتواضع:** التواضع فضيلة لا يمكن فصلها، ولا بأي حال من الأحوال، عن الحياة الروحيّة الأصيلة، **فالقدّيس إسحق السوريّ** يقول: «فقط من يملك فضيلة التواضع يمكن أن يدعى روحيًّا، وأمّا من هو بعيد عنها لا يمكن، أبدًا، أن يسمّى روحيًّا». يشير الإيمان الحيّ إلى حضور الله في النفس، فمن يرى الله داخله، لا بُدّ له أن يحسّ بتفاهة قيمته الشخصيّة وحقارة شأنه، فيشمله عندئذ توقٌ شديدٌ نحو الله وتطبيق وصاياه، وهكذا يبدأ مسيرته الروحيّة بالتواضع. فالمتواضع لا يتجرّأ، البتّة، على الاهتمام أو الانشغال بأمر مهما بدا بسيطًا خارج إرادة الله. لهذا، فعلامات **ضدّ المسيح** تبقى غريبة عن المتواضع وبعيدة عنه كلّ البعد، فهو لا يقبل أن تكون له علاقة بها، بل هو يرفضها رفضًا قاطعًا.

**٣) بالسهر والصلاة:** عندما نتأمّل ضعفنا وتفاهتنا، لا بدّ لذهننا عندئذ، من أن يتّجه نحو الله، نحو عظمته، نحو قدرته الكليّة، نحو صلاحه اللّامُتناهي، فيشتعل فينا حينئذ الشوق العارم للصلاة إليه والتحدّث معه، ويتجمّع رجاؤنا كلّه في خيراته الوافرة. من هنا كانت الأهمّيّة بالغة بعدم الانشغال بأيّ أمر أثناء الصلاة، إذ لا شيء له أهمّيّته إزاءها، فَصَلِّ إذًا، بكلّ قلبك ونفسك وذهنك، واطلب من الله ليَمنّ عليك بموهبة الصلاة المستمرّة.

لا شكّ أنّ أيّام **ضدّ المسيح** ستكون أيّام **ضيق وشدّة** لا سيّما للمؤمنين، الذين سيطلبون من الله المعونة والعضد والنعمة الإلهيّة. فقوّة الإنسان، مهما كان مؤمنًا بالله، تبقى غير كافية لتقاوم **قوّة الشياطين والبشر المجتمعة عليه**، الذين سيستخدمون ضدّه كلّ الوسائل والأساليب بقساوة لا تنثني ولا تلين، لكونهم باتوا يشعرون بقرب نهايتهم: «مِنْ أَجْلِ هذَا، افْرَحِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ! عَالِمًا أَنَّ لَهُ زَمَانًا قَلِيلًا» (رؤيا١٢:١٢). ولكنّ النعمة الإلهيّة سَتُظَلِّل مختاري الله، فتبقى تهديدات **ضدّ المسيح** كلّها عديمة النفع وغير فعّالة وبلا نتيجة تُرجى، وحتّى عجائبه ستكون مزدراة مرذولة. وعندئذ، سوف يمدّ الربّ عبيده الأوفياء بقوّة لكي ينذروا بشجاعة ورجولة بأنّ

يسوع المسيح هو مخلّص العالم. كما سيخبرون عن **ماسيّا الكذّاب** بأنّه سوف يأتي، **ولكنّه سيجلب معه الهلاك، وسيقود تابعيه إلى المشنقة، كيهوذا آخر، أيّ إلى الموت**، وأمّا المختارون فيشعرون وكأنّهم متربّعون على عرش ملوكي، يتغذّون بغذاء سماويّ عُرسيّ. إنّ محبّة الله هي أعذب من الحياة نفسها، فالمحن والرزايا محبّةٌ بالمسيح، وحتّى الموت من أجله هي بداية الفرح الفردوسيّ الأبديّ. وهذا ما ظهر جليًّا مع شهداء القرون الأولى للمسيحيّة، هؤلاء الشهداء الذين نالوا قوّة علويّة، فتقدّموا إلى العذابات بشوق وَوَجْدٍ، مستعذبين الاستشهاد والموت من أجل معشوقهم المسيح.

لقد سبق الربّ وأنبأنا بوقوع الآلام والضيقات التي ستسبق مجيئه الثاني، وأوصى تلاميذه بأن يسهروا ويصلّوا قائلًا: «اُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ.» (مرقس٣٣:١٣). الصلاة حاجة ماسّة للإنسان، وهي دائمة النفع له، لأنّها تحفظه في وِصَالٍ مستمرّ مع الله، وتضعه تحت جناحَي حِمَايَتِهِ. إنّها تصونه من محبّة الأنا، والاعتماد على النفس والانحراف نحو الكبرياء والمجد الباطل، ومن الأفكار التي تبذرها في أذهاننا الأرواح الشرّيرة، والتي تتبعها السقطات الفظيعة. ولكنّنا نحتاج إلى الصلاة، أكثر فأكثر، إبّان الآلام والمخاطر المنظورة وغير المنظورة، فتجعلنا نتخلّى عن اعتمادنا على ذواتنا، وتترجم قوّة ثقتنا ورجائنا بالله، وتجذب إلينا معونة الله الكلّيّ القدرة التي تخرجنا، بطريقة عجائبيّة، من مواقف صعبة نحن غارقون فيها.

إنّه لخطأ فادح أن يطلب الواحد منّا أن يرى علامات من السماء يصل بواسطتها إلى معرفة الله. يطلب هذه العلامات عادة، من يعتمدون على فهمهم البشريّ المادّيّ، فالمعرفة الإلهيّة والإيمان الحيّ والتواضع المبارَك والصلاة النقيّة هي التي تقودنا إلى معرفة الله معرفة حقيقيّة، ويحبكون لنا نسيج الحياة الروحيّة، ويعكسون لنا المنطق الروحيّ. وعلى العكس، فالجهل والشكّ وعدم الإيمان وعمى الروح والكبرياء والاعتماد على الذات وحبّ الأنا يُعَزِّزُ المنطق البشريّ المادّيّ، فيُمسي أصحابها عاجزين عن معرفة الله، لأنّ المفهوم البشريّ لايستطيع أن يعرف الله ولا يقبل تاليًا الوسائل التي يستعملها، والتي تقود النفس إلى معرفته.

*عن اليونانيّة من كتاب العجائب والعلامات

## قــابلــة

«القابلة» هي التي تساعد المرأة وتستقبل المولود عند الولادة. والكلمة في العبرية هي «مُوَلِّدَة» (وهي نفسها في العربية). وكانت القابلة بعد أن تتلقى المولود، تقوم بقطع سرته. وتغسله بالماء، وتملحه بملح، وتقمطه تقميطًا (انظر حزقيال ١٦: ٤). وكان خبر الولادة يُبلَّغ للأب (إرميا ٢٠: ٥).

وأول ذكر «للقابلات» في الكتاب المقدس هو عند ولادة «راحيل» لابنها بنيامين، فحين تعسَّرت ولادتها، قالت لها القابلة:«لاَ تَخَافِي، لأَنَّ هذَا أَيْضًا ابْنٌ لَكِ». (تك ٣٥: ١٧). وهذا ما حدث مع «ثامار»: «وَكَانَ فِي وِلاَدَتِهَا أَنَّ أَحَدَهُمَا أَخْرَجَ يَدًا فَأَخَذَتِ الْقَابِلَةُ وَرَبَطَتْ عَلَى يَدِهِ قِرْمِزًا، قَائِلَةً: «هذَا خَرَجَ أَوَّلاً».» (تك ٣٨: ٢٨).

وكانت النساء قديمًا – في بلاد ما بين النهرين ومصر وكنعان – كثيرًا ما كُنَّ يَلِدْنَ جالسات فوق قائمين من طوب أو حجارة، أو على «كرسي الولادة» (خر١: ١٦). فالرسومات والنقوش الفرعونية تسجل ذلك. وتوجد صورة لكرسي الولادة على جدران معبد الأقصر – في صعيد مصر – تجلس عليه الملكة «موتمس» وعلى جانبيها قابلتان تشرفان على توليدها، وتقومان بتدليك يديها. وهناك بردية من عهد الهِكْسُوس تسجل كيف أن ثلاث الهات تَوَلَّيْنَ توليد زوجة أحد الكهنة التي ولدت ثلاثة بنين، وكيف أن كل إلٰهة من الإلهات الثلاث، أمسكت باحد الأولاد وقطعت سرته وغسلته وقطمته، ثم وضعته على سرير من الطوب. وذهبن لإخطار الوالد بمولد الأولاد. كما تسجل هذه البردية إعطاء كل ولد منهم أسمًا له معناه عند مولده مثلما نرى في سفر التكوين وغيره.

وقد أمر فرعون مصر القابلتين «شفرة وفوعة» أن تقتلا كل ذكر يُولد للعبرانيات. وأن يستحييا كل بنت. ولكن القابلتين لم تُنفِّذا أمر الملك، بل استحيتا الأولاد. ولما سألهما فرعون لماذا فعلتا ذلك. أجابتاه بأن «إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَالْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُنَّ الْقَابِلَةُ» (خر ١: ١٥–٢٢).

# سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

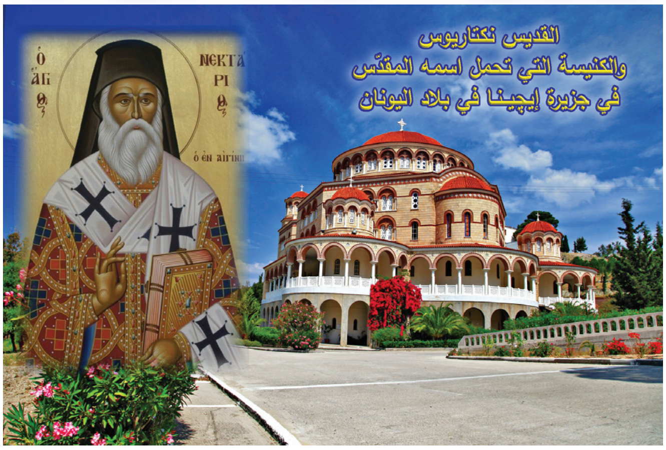


## ✝ الفصل السابع ✝.

ووجد أن باستطاعته متابعة الكلام، فقد كان الجميع يُصِيخُونَ إليه السمع. وأَحسَّ بخفقات قلبه تتسارع: هل ستُتاح له فرصة إنهاء الموعظة؟ فالموضوع لا حدود له، تغذيه الخبرة والتاريخ: «سأُدَمِّر الأَثَمَة وتجديفاتهم، وأُذِلُّ المتكبرين وتجديفاتهم، وأُحَوِّل كل الأرض المأهولة إلى صحراء».

– «يا اخوتي، يا اولادي في المسيح. إن السعادة والفرح الداخلي ينبعان من التواضع ...».

كان الوقت يمرّ وليس من يتحرَّك. ولا تبدو على أحد امارات المَلَلِ. فتابع حديثه مستشهدًا بأمثال من الحياة اليومية، متأثرًا عند كلامه على أشدّ الأعداء خطرًا، ذاك الذي يكره الخير، **إبليس المغرور** كما قال عنه **أشعياء النبيّ**: «وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ.» (أش ١٤:١٣-١٤).

أخيرًا وعندما اكتشف أنه تجاوز الساعة، بدأ يمهِّد لنهاية حديثه راجيًا أن يحافظ الجميع كبارًا وصغارًا على التواضع بضميرٍ نقيّ. فَسُمِعَت في القاعة ضجة مشابهة لحفيف أوراق الشجر. وفجأة انفجر الجمع صارخًا ومُصفِّقًا، وصرخ الرجال والنساء:

– **« مستحقٌ! مستحقٌ!»**

– **«أطالَ الله بعمرك!»**.

– **«تعالَ لزيارتنا في قرية كيمي»**.

– **«وفي اديبسو أيضًا»**.

وراحَ ينزل الدَرَجَات الواحدة تلو الأخرى، خافض النظر، وهو يشعر بنفسه خفيفًا. وسارَ في وسط الذين يصفِّقون له وهو يبكي. وصاروا يبتعدون متزاحمين ليفسحوا له الطريق. وتقدَّم داخلًا إلى الهيكل، وسَمِعَ الكهنة من حوله يقولون له:

– **«إنه نصرٌ يا صاحب السيادة! تقبَّل تهنئاتنا»**.

– **« لقد جاء بعضهم من أثينا خصيصًا لإعلان الحقيقة. لقد كنتَ ضحية المتآمرين»**.

وسارَ إلى خلف المائدة، واقترب من المصلوب، ورسم إشارة الصليب على وجهه، ووقف يتأمّل نقاط دم المسيح. وسمعه الكهنة من حوله يقول: «ها هو خادمك أمامك يا سيّدي. سدِّد خطواته إلى حيث تشاء، لا حسب مشيئتي، بل حسب مشيئتك أنتَ. أُقبِّل قدميك الكُلِيَّتِي الطُّهر ...».

---

**خدمة العين: وهي عبارة استخدمها الرسول بولس لوصف موقف العبيد الذين لا يعملون بجدٍ واجتهادٍ الّا عندما يشعرون أن عيون سادتهم – أو عيون الموكلين عليهم – تراقبهم، فالدافع عندهم على العمل ليس الصدق في العمل والاخلاص في الواجب، بل لتجنب المُساءلة والعقاب، أو لاكتساب المكافأة من سادتهم، وهو ما يدعو الرسول العديد من المؤمنين أن ينأوا بأنفسهم عنه,فكم بالحري خدّام المسيح (ا ف ٦:٦ ,كو ٣:٢٢).**

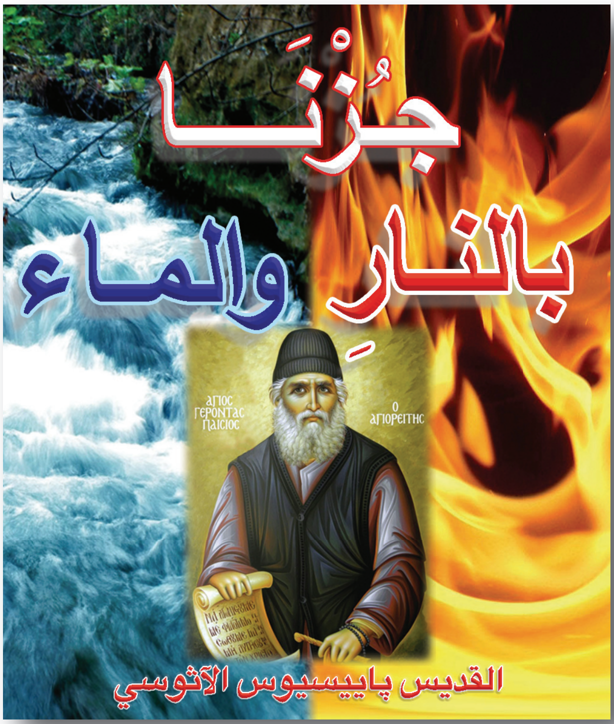


## الباب الخامس

# لِئَلَّا تَحزَنوا كغيرِكم ممن لا رَجاءَ لهم

## ✝ الموتُ انفصالٌ وقتيّ ✝

يجب أن نفهم أنَّ الكائن البشري لا يموتُ بالحقيقة. الموتُ ببساطةٍ هو انتقالٌ من حياةٍ الى أُخرى، وانفصالٌ وقتيّ. عندما يسافر شخص ما لمدَّة سنة، تشتاق له عائلتُه وتقلق عليه، لأنّه سيبتعد عنهم لسنةٍ كاملة. وإذا سافر لمدّة عشرِ سنين، فستقلق على غيابه لعشرِ سنين. بهذه الطريقة يجبُ أن ينظر الناسُ إلى الموتِ، عندما يفصلهم عن أحبّتهم. فَلْنَقُل، على سبيل المثال، إنَّ أحدهم ماتَ وأفراد عائلته كبارٌ في السنّ، فباستطاعتهم عندما أن يقولوا، «بعد عشر سنوات أو خمسَ عشرة سنةً، سنجتمع ثانيةً». أمّا اذا كانوا أصغر سِنًّا، فيقولون: «سيلتئم شملنا مرَّةً أُخرى بعد خمسين سنة». من الطبيعي أن يتألم الإنسان بسببِ موتِ أحد أقربائه، لكن يجبُ أن يواجه الوضع بطريقةٍ روحيّةٍ.

ماذا يقول القديس بولس الرسول؟ «ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ.» (١تسالونيكي ٤:١٣). كم مرَّةً نرى قريبنا هذا هنا على الأرض؟ مرَّةً بالشهر؟ فلنعتبر إذًا أنّنا سنراه بشكلٍ متواصلٍ في الحياة الثانية. إذا لم يَحْيَ المتوفَّى حياةً صالحةً، عندها فقط يحقُّ لنا أن نقلق. وإذا كان شخصًا قاسيًا وصعبًا، فعلينا أن نصلّي من أجله بحرارةٍ، إذا كُنَّا نحبه ونرغب بملاقاته في الحياة الأخرى.

## الباب السادس

# الحياة بعد الموت

## ✝ الأموات بانتظار المحاكمة ✝

### ✝ ياروندا، عندما يموتُ الانسانُ هل يدرك فورًا وضعه الروحي؟

✝ نعم، يُدرك ذلك ويقول لنفسه: «**ما الذي فعلته؟**» لكن **فايدة يوك (تعبير شائع في اللغة التركية يعني: ما النفع، ما الفائدة)**، فهذا الإدراك لا ينفع. يُشبه هذا رَجُلًا سكرانًا يقتُلُ والدته ويتابع الغناء والضحك، لكنّه عندما يصحو ويكتشفُ ما فعله، ينوح وينتحب قائلًا: «**ماذا فعلتُ؟**» الأمرُ ذاته ينطبق على الذين ارتكبوا الشرورَ في هذه الحياة، فهُم أشبه بهذا الرجلِ السكّير. إذ أنّهم لا يفهمون ما الذي يَفعلونه، ولا يشعرون بالذنب. لكن حالما يموتون، تزول حالةُ «**السُّكْرِ**» ويُدركون وضعهم الحقيقيّ، فتنفتح أعينُ نفوسِهم ويَعرفون ذَنْبهم. فالنفسُ، عند انفصالها عن الجسدِ، تتحركُ، ترى وتَفهمُ بسرعةٍ لا تُصَدَّق.

يسألُ البَعضُ عن أوانِ حُدوثِ المجيءِ الثاني. لكن، بالنسبة لمن ماتَ، فالمجيء الثاني يحدثُ، بطريقةٍ ما، لأنه سيُحاكم على أساس الحالةِ التي وُجِدَ فيها عند ساعة موته.

### ✝ ياروندا، بأيَّة حالةٍ توجد نفوسُ المعذَّبين في هذا الوقت؟

✝ إنهم مُدانون، محبوسون، ومتألّمون تبعًا للخطايا التي اقترفوها، وهم ينتظرون المحاكمة النهائية، الدينونة الآتية. بعض الأموات المُدانين ينالون عقوبةً ثقيلةً، والبعضُ الآخرُ عقوبةً أخفّ.

### ✝ ياروندا، وماذا بالنسبةِ للّص والقديسين؟

✝ القديسون واللّصُّ هم في الفردوسِ، لكنّهم لم يأخذوا حتَّى الآن المجد النهائيّ. كما أنَّ الأموات المُنتظرين موجودون في الجحيم لكنَّهم لم يتلقَّوا هُم أيضًا عقوبتهم النهائية. لقد علّمنا الله منذُ قرونٍ: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ.» (متى٣:٢). لكنَّه يُطيل الوقت أكثر فأكثر، منتظرًا منَّا (نحن جنس البَشر) تصحيح ذواتنا. ونحنُ، إذ نبقى قابعين في بؤسنا، غير تائبين، **نَدّخرُ غضبًا في يوم الغضب** كما قال **الرسول بولس**: «وَلكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ، الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ.» (رومية ٢:٥-٦).

# ثلاثة أكيال دقيق

## للقديس يرونيموس

### قال لهم مثلاً آخر:

«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ» (مت١٣:٣٣).

بطون الإنسان مختلفة. البعض ينجذب للأطعمة المريرة، والبعض الآخر للحُلوة، البعض لأنواع قَشِفَة، والبعض لأنواع أكثر ٱعتدالًا. ولذا، فإن الرب يُقدِّم أمثالًا متنوعة، كما قلنا آنفا، وذلك حتى يكون هناك أنواع مختلفة من الأدوية، وفقًا للأنواع المختلفة من الجروح.

هذه المرأة التي أخذت الخميرة وخلَّطتها بثلاثة أكيال من الدقيق لتُخمر العجين كله، تدلُّ عندي إمَّا على التبشير الرسولي وإمَّا على الكنيسة المؤلفة من الأمم المختلفة.

فهي تأخذ الخميرة - أي معرفة وفهم الكتاب المقدس - وتخلطها بثلاثة أكيال من الدقيق ليمتزج الروح والنفس والجسد بدون اختلاف، ومن ثم يتفق الإنسان الواحد مع أثنين أو ثلاثة فيكون لهما ما يطلبانه من الآب (مت ١٨:١٩).

ويُفَسَّر أيضًا هذا المقطع بطريقة أخرى.

قرأنا عند أفلاطون، وعند الفلاسفة المشهورين، أن هناك ثلاثة أهواء أو ٱنفعالات في النفس الإنسانية: ما يُسمى «العقلي»، و «الغضبي»، و «الشهواني» أو «الرغبة». واعتقَدَ هذا الفيلسوف أن الجزء العقلي يتواجد في الدماغ، والغضبي في المرارة، والشهواني في الكبد. هكذا وبالتالي، إذا قبلنا الإنجيل أو خميرة الكتاب المقدس، التي تحدثنا عنها، فإن أهواء النفس الداخلية الثلاثة تتآلف، ومن ثم نملك التعقل من خلال «العقلي»، ونكره الرذيلة من خلال «الغضبي»، ونشتاق للفضيلة من خلال «الرغبة». وهذا كله يتم ويتحقق بالتعليم الإنجيلي الذي تقدمه لنا الأم المقدسة أي الكنيسة.

يجب أن أذكر أيضًا تفسيرًا ثالثًا لبعض الناس، حتى يتسَنَّى للقارئ انتقاء التفسير الذي يرضيه من الكثرة. هؤلاء الشراح يقولون أن المرأة هي الكنيسة، والتي خلطت إيمان الإنسان بثلاثة أكيال من الدقيق، عن طريق الاعتقاد في الآب والابن والروح القدس. هذا لا يقودنا إلى ثلاثة آلهة بل إلى معرفة اللاهوت الواحد. وهم يُفسرون الثلاثة أكيال من الدقيق هكذا: إذ أنه ليس هناك طبيعة مختلفة لكل أقنوم من أقانيم الثالوث، بل هناك وحدة في الجوهر.

# اليشب

**يشب: والكلمة فى العبرية هى «يشبح» نقلًا عن الفارسية ، وكان الصف الرابع فى صدرة رئيس الكهنة يتكون من: «وَالصَّفُّ الرَّابعُ: زَبَرْجَدٌ وَجَزْعٌ وَيَشْبٌ.» ( خر ٢٨: ٢٠ ، ٣٩: ١٣) . كما يقول الرب على فم حزقيال النبي لرئيس صور ، أو بالحري لرئيس هذا العالم : « كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ، عَقِيقٌ أَحْمَرُ وَيَاقُوتٌ أَصْفَرُ وَعَقِيقٌ أَبْيَضُ وَزَبَرْجَدٌ وَجَزْعٌ وَيَشْبٌ وَيَاقُوتٌ أَزْرَقُ وَبَهْرَمَانُ وَزُمُرُّدٌ وَذَهَبٌ.» ( حزقيال ٢٨ : ١٣) . وقد رأى يوحنا في رؤيـاه : «وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ. وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ، وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهُ الزُّمُرُّدِ.» (رؤ ٤ : ٣ ارجع أيضًا إلى رؤ٢١ : ١١ و ١٨ و ١٩) . فاليشب أحد الاحجار الكريمة البلورية .**

# الفاشلون قسمان:

قسمٌ يفكّر دون تنفيذ

فَهُم اوراقٌ ذابلة

وقسمٌ ينفِّذ دون تفكير

# الأرثوذكسيّة (٧٢)

# قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الإيمان

## الناطق بالأنبياء

### الموقف والمُنبِّه العظيم:

يكتب الدكتور بول تليك عن ناحية أُخرى من عمل الروح القُدُس فيقول: «يمكن للروح القُدُس أن يعمل فينا بصوتٍ هادىء خفيض ولكن بإلحاح، ليقول لنا إنَّ حياتنا فارغة وبلا معنى، وإنَّ هناك فُرصًا لحياةٍ جديدة تنتظرنا خلف باب النفس من الداخل، لتملأ فراغها ولتهزم كسلها وغباءها. يمكن للروح القُدُس أن يكشف لكَ بعُمق أنَّك قد آذيتَ شخصًا ما بعنف، ولكن يمكنه أن يعطيكَ أيضًا الكلمة الصحيحة لتُعيد علاقتك واتحادك به ثانية. يُمكن للروح القُدُس أن يُعطيكَ أن تحبّ، بالمحبة الإلهية، الشخص الذي تكرهه بشدَّة، أو الذي لا تنسجم معه. يستطيع الروح أن يعطيك المَسَرَّة والبهجة وسط أعمال الحياة الروتينيّة تمامًا مثلما يعطيك وسط الأسَى العميق.

يمكن للروح أن يُلقيك في هوّة اليأس من نفسك، ثمَّ يعطيك التأكيد أنّ الحياة قد قبلتك تمامًا، بعد أن شعرت أنَّكَ صرتَ مرفوضًا بالكليَّة. يستطيع الروح أن يعطيك قوّة الصلاة التي لا يُمكن لأحد أن يحصُل عليها إلَّا من خلال الحضرة الإلهية الروحيّة، لأنَّ كل صلاة، تُتلى بالكلام أو بدون كلام لتصل إلى هدفها، وكذلك عودة الاتحاد مع المبادىء الروحيّة في كياننا، هذا كله هو عمل الروح وهو يتكلَّم فينا ومن خلالنا».

### الروح النجس:

أقبَلَ شابان مُدمنان – على تعاطي المخدرات – إلى المسيح وقبلاه، ومن خلاله أمكنهما معرفة قوّة الروح القُدُس، وشهادتهما تثبتُ ذلك، فقد قالا:«وسط هذه الجماعة المسيحيَّة بدأنا أخيراً أن نجد ما كُنَّا نبحث عنه، وكان المفتاح هو الروح القُدُس. كانت لنا خبرة سابقة مع الأرواح، إنَّنا تقابلنا مع الروح النجس، هذا الروح له قوّة قاهرة، ولكن عند الخضوع لها يكتشف الانسان أنها قوّة خالية من المحبَّة، وكل هدفها **هو الهدم ثم الهدم.**»

أمّا الروح القُدُس، فهو له قوّة أعظم جدًّا من قوّة الروح الشرّير، وهو أيضًا في انتظار أن نقبله. إنَّه يعمل لصالحنا، وقد مكَّننا أن نرفض العقاقير في خلال أيام، بينما كُنَّا نتعاطاها لسنين، وهذه هي الأعجوبة!».

### جنسًا جديدًا:

المسيح إذ حُبِلَ به من الروح القُدُس، صار باكورة جنسٍ جديد لشعبٍ سوف يمتلىء وينقاد بالروح. المسيح جاءَ من فوق من عند الله، حتى يُمكن لهؤلاء الذين من أسفل أن يرتفعوا إلى الله فيه. وبحسب اللاهوت الأرثوذكسي، فإنَّ هدف الحياة المسيحية ليس فقط اقتناء الروح القُدُس، بل أيضًا تألُّه الإنسان بالنعمة من خلال الروح القُدُس. وبكلمات أُخرى، يمكن للإنسان أن يصير مثل المسيح من خلال القوّة الني ينالها عندما يأتي الروح القُدُس ويسكن في الانسان، كما قال ربنا يسوع المسيح: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا.» (يوحنا ١٤:١٢).

إنّ جسده يصير تمامًا وبعينه هيكلًا للروح القُدُس. لذلك فإنَّ خلاص الإنسان وفداءه يعني في الأرثوذكسيّة تألُّهه، ميلاده في حياة إلهيَّة هي حياة الله، وصيرورته عضوًا في جنسٍ جديد مُمتلىء بالروح القُدُس، ليصير مُنقادًا بالروح القُدُس وأصله هو **المسيح نفسه**.

### الخطيئة التي ليست لها مغفرة:

يخبرنا الكتاب المقدس أنَّ الخطيئة الوحيدة التي لا غفران لها هي التي ضدّ الروح القُدُس:«لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ. وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي.» (متى ١٢: ٣١-٣٢). ما هي الخطيئة ضدّ الروح القُدُس حتى صارت إلى هذا الحدّ ليست لها مغفرة؟ إن كان الروح القُدُس هو الله في عالمنا اليوم، وهو يجاهد ليقود روح الإنسان إلى المسيح من خلال الكنيسة، فيكون أنَّ أي شخص يرفض أن يتعلَّم من الروح القُدُس ويُدير ظهره للكنيسة، ويعيش برغبة كاملة وبإرادة تامَّة في الخطيئة، ويرفض أن يسأل أو يطلب الغُفران، مثل هذا الشخص يرتكب خطيئة ضدّ الروح القُدس. وبكلمات أخرى، فإنّ الخطيئة التي لا تُغفر لا تتكوَّن من مجرَّد عمل معيَّن أو كلمة تجديف، ولكن هي موقف دائم ومحدَّد من الكيان كلّه في الحياة يقول لله: «**لا**». إنها خطيئة لا تُغفر ليس لأن الله سوف يرفض الغفران، ولكن لأن الإنسان يرفض أن يطلب المغفرة. وفي الواقع هي رفض تام للإنسان أن تكون له أي صِلة أو علاقة مع الله.

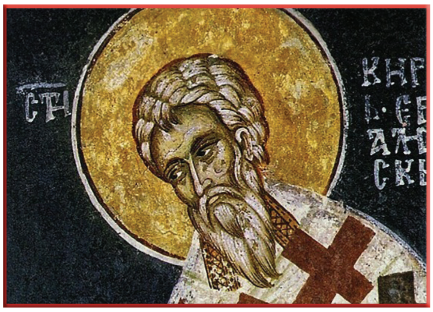

# العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

## لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

## العظة الخامسَ عشرةَ

«... وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»

### ٢٣– الخوف من نسيان الرب:

ولكن قد يقول أحد الحاضرين: «أنا مسكين، أو لربما أكون عندئذ مريضًا على فراشي؛ أو أنا إمرأة قد أكون عندئذ أطحن الحبوب، فهل تُزدرى؟». ثِق أيها الانسان، إنّ الديان لا يستثني أحدًا: «فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ» (اشعياء ١١: ٣). إنّه لن يفضِّل العلماءَ على البسطاء، والأغنياء على الفقراء. وحتَّى لو كنتَ في الحقل ستأخذك الملائكة. لا تظن انه سيأخذ المَلَّاك ويتركك أنت الفلَّاح. وحتى اذا كنت عبدًا أو فقيرًا، فلا تقلق. هذا الذي أخذ صورة عبد (فيلبي ٢: ٧) لن يحتقر العبيد. وحتَّى إذا كنت مريضًا طريح الفراش، إذ قد كُتب: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَكُونُ اثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ.» (لوقا ١٧: ٣٤). وحتى إذا كنتَ مشغولًا في الطاحون بدافع الضرورة، سواء كنت رجُلًا أم امرأة، وحتى اذا كان لديك أولاد وتكون جالسًا تطحن، فهو لن يهملك. «هو الذي يطلق سراح الأسرى بقوّته» (مز٦٧: ٧)، والذي قاد يوسف من العبودية والسجن إلى المُلك يُنقذك من الضيق وينتقل بك الى ملكوت السموات. المهم أن تثق وتعمل وتكافح بشجاعة. لأنه لن يضيع شيء. فكل صلواتك وترانيمك، وكل احسان وصوم، وزواج مصون، وكبح شهوات النفس لأجل الله، هي مسجّلة عنده. البتوليّة والاستقامة تحظيان بالأكاليل الأولى من بين الأشياء المسجّلة، فتضيء كالملاك. وكما أنّك استمعت بغبطةٍ الى هذه الأشياء الجميلة، فاستمع كذلك الى عكسها: كل طمع يسجّل عليك وكل زنى وقَسَم كاذب، وتجديف وشعوذة، وسرقة وقتل. كل هذه الأشياء تُسجَّل عليك إن كنت ترتكبها بعد العماد، لأنّ التي سَبَقَتْهُ إمَّحَت.

### ٢٤– حضور العديد العديد من الملائكة:

يقول الربّ: «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.»

«ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ، لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ قِائِلاً: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥: ٣١–٤٦).

فانظر أيها الانسان أمام كم ستُدان: الجنس البشري بأسره سيكون حاضرًا في ذلك الوقت. تصوّر كم يبلغ عدد الأمّة الرومانية، والأمم البربرية التي تعيش اليوم، وكم عدد الذين ماتوا منذ مئة سنة؛ وفكّر في الذين دُفنوا قبل ألف عام، والذين عاشوا منذ آدم حتى اليوم! إنَّ عددهم لعظيم، ومع ذلك انه ضئيل، لأنَّ الملائكة أكثر عددًا. إنّهم يؤلّفون التسعة والتسعين خروفًا، والبشرية هي الخروف الباقي (متى ١٨: ١٢؛ لو١٥: ٣–٧؛ حز٣٤: ١)، لأنه يجب التفكير في عدد السكان بحجم جميع الأماكن. الأرض المسكونة أشبَه بنقطة في وسط السماء، والسماء التي تحيطها تحوي عددًا يتناسب واتساعها، وسموات السموات فيها عددٌ يفوق الخيال، إذ هو مكتوب: «نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ.» (دانيال ٧: ١٠). لا لأنَّ هذا عددهم، ولكن لأنه لم يكن في استطاعة النبيّ أن يقول أكثر من ذلك. هكذا سيكون حاضرًا في يوم الدينونة: اللهُ ابو الجميع، ويسوع المسيح جالسًا معه، والروح القُدُس. وسيجمعنا كلّنا البوقُ الملائكي ومعنا أعمالنا. ألاَ يجب علينا أن نخشى من الآن؟ لا تظنّ، أيها الانسان، إنه عقاب بسيط، حتى بغضّ النَظَر عن العقاب الأبدي، أن تُجرى الدينونة أمام مثل هذا العدد الغفير من الشهود؟ أما نُفضّل غالبًا أن نموت على أن يديننا أصدقاؤنا؟